القاهرة ١٩٣٦

القاهرة ١٩٣٦

رواية

بقلم محمد عرموش

في إحدي ليالي صيف سنة ١٩٣٦ اجتمعت الأسرة كعادتها كل مساء يشربون الشاي والقهوة بعد تناول الطعام ليتبادلون أطراف الحديث الممتع الهادئ والذي لا يخلو أحياناً من حدة الشباب خاصةً عندما يتطرق الحديث إلي شئون السياسة والحرب

ولكن الأب عبد اللطيف أفندي حسين الموظف في السكة الحديد كان رجلاً حليماً يتحمل انفعالات أولاده عندما يتحدثون عن القضية الوطنية –والاستقلال فهي قضية كل مصري منذ حدوث الاحتلال البريطاني لمصر ، وكان يعرف الأب بالطبع أن أولاده يشاركون في المظاهرات المعادية للإنجليز وكان يتظاهر بعدم المعرفة

وكانت الأم تغضب من سلوك أولادها ، وطالما حثت الأب علي منع أولاده من التظاهر حتي لا يتعرضوا لأي مكروه ولكن الأب كان لا يستطيع إبعاد أولاده عن التظاهر فقد كان يتظاهر في شبابه أيام سعد باشا وثورة ١٩١٩ ، ولكنه كان يشفق عليهم وينصحهم نصائح أبوية بسبب خبرته بحيث يكونوا بمنأي عن الخطر بقدر الإمكان

ولعبد اللطيف أفندي ثلاثة أبناء من الذكور وإبنه واحدة والأبناء الذكور هم علي الترتيب حسين عبد اللطيف وهو يعمل محرر صحفي في إحدي الصحف أما الأبن الثاني فهو شريف ويعمل موظف حسابات في أحد المتاجر الكبري أما شقيقهم الأصغر فهو سعد الذي تم تسميته علي اسم زعيم الأمة سعد باشا زغلول فقد كانت ولادة سعد هذا سنة ١٩١٩ خلال أحداث الثورة وهو حالياً يدرس في كلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول أما الأبنة الوحيدة في الأسرة فيقع ترتيبها الثالث بين شريف وسعد وهي لم تلتحق بالجامعة ولكنها حصلت علي قدر كافي من التعليم في المدرسة وتحب قراءة الصحف وتجادل أشقائها وتثير الكثير من المتاعب أثناء النقاش معهم فهي كما يُقال تحب دائماً أن تُلقي بحجر في الماء الراكد ، وكان عبد اللطيف أفندي يمتلك منزل فسيح من طابقين ويحتوي علي العديد من الغرف مما منح لكل فرد في الأسرة مكان مستقل خاص به ، كما أن هناك غرف للضيوف وما إلي ذلك وقد ورث هذا المنزل عن عائلته

وكانت ليلي هي أول من تكلم في هذا المساء وهي ممسكة بجريدة السياسة الأسبوعية فقالت:

- **هل علمتم بأن النحاس باشا قد قام بتوقيع معاهدة مع الإنجليز منذ يومين تقريباً ؟**

فرد شريف بشئ من التهكم والسخرية :

- **مصر كلها قد عرفت يا هانم ، استيقظي أنت من نومك العميق**
- **فهل تعرف أنت أيها الخبير أين تم توقيع هذه المعاهدة ؟**
- **إنها تفاصيل تافهة لا أهتم بها ، فمكان التوقيع لن يغير شئ في بنود المعاهدة ومع ذلك لقد كانت المفاوضات في قصر الزعفران وقد يكون التوقيع تم به**
- **استيقظ أنت من النوم يا أفندي فقد تم توقيعها في قاعة تاريخية في وزارة الخارجية البريطانية في لندن**

فالتفت شريف نحو أخيه الأكبر حسين وقال :

- **هل صحيح ما تقوله هذه الآنسة الثرثارة ؟**
- **في الحقيقة قد بدأت المفاوضات بالفعل في القاهرة يوم ٢ مارس بقصر الزعفران بالعباسية ثم استمرت في الإسكندرية منذ أواخر يوليو بقصر أنطونيادس وانتهت بوضع مشروع المعاهدة التي أمضيت في لندن بقاعة "لوكارنو" التاريخية بوزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٢٦ أغسطس أي منذ يومين تقريباً كما قالت ليلي**
- **علي أي حال كل هذا لا يهم كثيراً فطريق المفاوضات طريق مسدود ولن يؤدي إلي أي نتيجة وإلا كان قد نجح مع سعد باشا أليس كذلك يا أبي ؟**

كان الأب يستمع بإشفاق لما يدور حوله من حوار ولم يكن يتوقع هذا السؤال من ابنه شريف وظن أنه سيكون بعيد عن هذا النقاش ولكن للأسف تم إقحامه فيه ، فقرر تغيير الموضوع وقال :

- **إنني مستبشر خيراً من ارتقاء مولانا ومليكنا الشاب الملك فاروق عرش مصر وأتمني أن يُجزل الله لمصر الخير علي يديه**

فقالت الأم :

- **حفظه الله ورعاه وأبعد عنه حاشية السوء**

فقال شريف :

- **من يعرف فقد يعبث بالدستور ويقوم بحل البرلمانات المنتخبة كما كان يفعل والده**
- **لا أعتقد يا بني فهو شاب نقي السريرة فيما أظن**
- **علي أي حال الإنجليز هم من يحكمون مصر وليس الملك**

فقال حسين :

- **أعتقد أن دولة مصطفي النحاس باشا صار أقوي كثيراً من القصر نظراً لشعبيته ، وخاصة بعد أن رضي عنه الإنجليز بعد توقيعه علي المعاهدة**
- **قوة القصر والملك تعتمد علي من يشغل منصب رئيس الديوان الملكي ، وكم أتوق لمعرفة من سيختاره جلالة الملك لشغل هذا المنصب كما أتمن معرفة بنود المعاهدة التي وقع عليها النحاس باشا**

وهنا صاح سعد الصغير وقال :

- أنا معي قصاصة بها بنود المعاهدة في جيب الجاكتة

فضحك الجميع ، وسألته أخته في سخرية :

- وهل كنت بصحبة دولة النحاس باشا يا سعد باشا في لندن دون أن تخبرنا ؟
- بل كان الزملاء في الجامعة اليوم يتداولون ورقة من جريدة الأهرام تحتوي علي بنود المعاهدة ولما فرغوا منها قصصتها واحتفظت بها في جيب الجاكتة

فصرخت فيه أمه وقالت :

- ألم أقل لك مائة مرة لا شأن لك بما يدور في الجامعة من مناقشات سياسية

قال الأب :

- فهمت الآن لماذا لم أتمكن من شراء جريدة الأهرام هذا الصباح ونفاذها بالكامل بهذه السرعة

وقال حسين في تعجب:

- كيف حصلت الأهرام علي هذه البنود وبهذه السرعة ؟

فقال الأب :

- إنها جريدة عريقة يا بني ولها أساليبها المختلفة في الحصول علي المعلومات ، وعلي أي حال أذهب يا سعد بسرعة لإحضار القصاصة

وأحضر سعد القصاصة بسرعة فوجد أيادي كثيرة ممتدة لتناولها منه ولكن أبوه نظر إليه وأشار إلي أخيه الأكبر حسين فأعطاه القصاصة وبدأ حسين يقرأ ما بها بصوت عالي :

- "معاهدة الشرف والاستقلال" قال دولة رئيس الحكومة أنه قام بتوقيع معاهدة أطلق عليها معاهدة الشرف والاستقلال مع السير مايلز لامبسون في لندن ، وتتضمن بنود في صالح كلا البلدين فهي معاهدة الند للند علي قدم المساواة علي حد وصفه وجاء فيها من أهم البنود ما يلي : ١ – انتهاء احتلال مصر عسكرياً بواسطة القوات البريطانية ٢ – تتبادل الدولتان التمثيل السياسي من خلال سفراء معتمدين (وإلغاء منصب المندوب السامي) ٣ – انضمام مصر إلي عصبة الأمم بتأييد الحكومة البريطانية ٤ – عقد محالفة بين مصر وبريطانيا علي أساس من الصداقة والتفاهم الودي وحسن العلاقات ، يتعهد كل من الطرفين بأن لا يتخذ في علاقاته الدولية موقفاً أو يعقد معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة الحالية ٥ – يتبادل الطرفان الرأي عند حدوث خلاف بين إحداهما ودولة أخري لحل هذا الخلاف بالطرق السلمية ٦ – بالنسبة لمسألة الدفاع عن مصر ، وفي حالة الحرب أو خطر الحرب ، أو قيام حالة دولية

مفاجئة . تبيح مصر استخدام موانيها ومطاراتها ومواصلاتها للقوات البريطانية ، وتتخذ حكومتها الإجراءات الإدارية والتشريعية لمعاونة بريطانيا ٧ – بالنسبة لقناة السويس والدفاع عنها فقد نص علي أنه : إلي أن يحين الوقت الذي يصبح فيه الجيش المصري قادراً بمفرده علي حمايتها وضمان حرية الملاحة فيها ، ترخص مصر لبريطانيا بأن تضع بجوار القناة قوات تتعاون مع القوات المصرية للدفاع عن القناة ، ولا يكون لهذه القوات صفة الاحتلال ، كما لا يخل وجودها بالسيادة المصرية (وقد نص علي ألا تزيد عن عشرة آلاف من القوات البرية وأربعمائة طيار ، بالإضافة إلي الإداريين والفنيين) ٨ – إدارة السودان طبقاً لإتفاقية الحكم الثنائي لعام ١٨٩٩ ، وحتي يتم عقد اتفاقات جديدة في المستقبل ، يباشر الحاكم العام سلطاته ويكون تحت إمرته جنود بريطانيين ومصريين للدفاع عن السودان ٩ – إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية من مصر ، وبالتالي إلغاء ما يتبعها من القيود الخاصة بالتشريع بالنسبة للأجانب المقيمين بمصر ١٠ – حُددت مدة المعاهدة بعشرين سنة ، ويمكن أن يدخل الطرفان في مفاوضات بناء علي طلب أي منهما ، لإعادة النظر فيها بعد انقضاء عشر سنوات علي تنفيذها

كان الجميع ملتزم الصمت أثناء قيام حسين بالقراءة ولكنهم لاحظوا تغير في تعبيرات وجه الأب وكان من الواضح عليه عدم الرضا والغضب من بنود المعاهدة ، وكانوا يعرفونه جيداً عندما يغضب أو يتوتر وخاصة الأم بالطبع التي قامت بفض الجلسة قائلة :

– لقد سهرنا كثيراً الليلة ووراءنا الكثير من العمل في الغد فهيا نخلد للنوم

وفهم الجميع المغزي من وراء كلامها فتوجهوا إلي النوم في صمت

وفي اليوم التالي توجه كل منهم إلي مقر عمله ، وكان الجميع يتحدثون ويتناقشون في بنود المعاهدة التي سيطرت علي تفكير الجميع

وعندما عاد الجميع للمنزل وحصلوا علي قسط من الراحة بعد عناء العمل وتناولوا الطعام اجتمعوا في المساء حول أبيهم كعادتهم اليومية ، ليشربوا معاً المشروبات الساخنة ويتناولون بعض الحلوي التي تقوم والدتهم بإعدادها ، ويقرأ بعضهم الصحف ويتناقشون حول أهم موضوعات الساعة ، وقد كان الأب حريص جداً علي هذا الاجتماع العائلي اليومي لأسباب عديدة ، أهمها بالطبع المحافظة علي الترابط الأسري وحتي لا يبحث أحدهم عن بديل لهذا اللقاء فيجلس علي المقاهي أو يختلط برفقاء السوء أو يتوجه إلي ملاهي شارع عماد الدين والأزبكية ووسط البلد أو قد ينضم إلي خلايا وجماعات سرية لها أنشطة غامضة

وحتي إذا لم يخرج أحدهم واختلي بنفسه في المنزل فسوف يفكر تفكير إيجابي أو سلبي من يدري ؟ فرأي الأب أن هذه اللقاءات يستطيع من خلالها معرفة ما يدور في عقول أبناءه فيجعلهم يفرغون ما بداخلهم من أفكار ، ولكن عليه بالطبع أن يجعل الحديث ودي وحر ويتحمل حدة مناقشات الشباب المتحمس وكل هذا أهون كثيراً من البدائل الأخري لهذا اللقاء

وعندما التقوا في تلك الليلة كان الحديث بالطبع عن معاهدة الشرف والاستقلال كما يسميها رئيس الحكومة النحاس باشا وبدأت ليلي الحديث كالعادة لأنها تحب أن تثير الحوار بعد أن تري الجميع في حالة تردد ووجوم ولأنها تعرف أن لديها حصانة خاصة عند أبيها ، فسألت حسين

- **ماذا كان رد فعل الزملاء في الجريدة اليوم بخصوص بنود المعاهدة ؟**
- **اختلفت الآراء بالطبع بين مؤيد ومعارض لبعض البنود ولكنهم أجمعوا علي رفض بند واحد**

فقال شريف :

- **أكيد البند الذي يبيح للإنجليز استخدام جميع الموانى والمطارات والطرق في حالة الحرب**
- **في الحقيقة المسألة المثيرة للجدل في العبارة التي تقول وفي حالة الحرب أو خطر الحرب ، أو قيام حالة دولية مفاجئة فما المقصود بالحالة الدولية المفاجئة**
- **إن كل هذا الكلام بالطبع متروك لتفسير الاحتلال ومقصود أن تتم صياغته بهذا الشكل**

ثم توجه شريف بالسؤال لأبيه :

- **ألم يعرض سعد باشا زغلول علي السير ونجت نفس الشئ في اللقاء الشهير يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨**
- **الوضع كان مختلف يا بني فما قاله سعد باشا رحمه الله بالحرف هو : متي ساعدتنا إنجلترا علي استقلالنا التام ، فإننا نعطيها ضمانة معقولة علي عدم تمكين أي دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا فنعطيها ضمانة في طريقها للهند وهي قناة السويس ، بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل نحالفها علي غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود**
- **أعتقد أنه ليس هناك فرق كبير بين ما عرضه سعد باشا وما وقع عليه النحاس باشا**
- **يمكنك أن تعرف الفرق عندما تعرف أن كلام سعد باشا كان رداً علي ماقاله السير ونجت**
- **فما الذي قاله ونجت حتي يكون هذا رد سعد باشا**
- **لقد قال أن مركز مصر حربياً وجغرافياً يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها وقد تكون غير إنجلترا ، ولذلك أراد سعد باشا أن يطمئنه**
- **يا له من محتل خبيث يشير إلي أن بريطانيا إذا تركت فراغ في مصر فسوف يقوم غيرها بشغله ولن تقوي مصر علي منع أي دولة قوية من احتلالها ، إذن فليظل الاحتلال البريطاني ليشغل الفراغ**
- **إن السياسي يا بني في مثل هذه المواقف يستخدم كل ما في جعبته من مناورات كي يصل إلي هدفه بأقل خسائر**

وهنا قال حسين :

- **بالمناسبة لقد قام الكثيرون بالفعل اليوم في الجريدة بعقد مقارنة بين بنود المعاهدة وبين الحوار الذي تم يوم ١٣ نوفمبر كما نفعل نحن الآن ولكنني أوضحت لهم أن المقارنة ستكون ظالمة وليست في محلها لأن الظروف والأوضاع كانت مختلفة**

فقال شريف بحدة :

- **ما أعرفه أن الاحتلال لا يفهم سوي لغة العنف والمقاومة فقط ، وكل ما يفعله السياسيون لا جدوي منه ولو استمرت المفاوضات ألف سنة ، وقد صدق بيرم التونسي حين قال : الحماس ما تبط من أيام عرابي وانتهينا – لنجليز شالوا المدافع والطوابي واتلهينا –الخازوق ماسك متين والفرقة تبني بالمدافع والحقوق تطلبها بالروب والجوانتي وابقي رافع**

فقال حسين :

- **دعك من الحماس الآن فأمامنا قوة لا قبل لنا بها ويجب أن نكون واقعيين في التعامل معها**
- **أي دعونا من أخطاء الماضي ولنبدأ في فعل أخطاء جديدة**
- **في رأييي أن النحاس باشا تصرف بشكل أفضل من حسين رشدي باشا الذي كان رئيساً للحكومة أثناء الحرب العظمي والذي قام بتسخير كل إمكانيات مصر لخدمة بريطانيا وحلفاءها خلال الحرب ثم لم يتمكن من الحصول علي أي مقابل في سبيل الاستقلال بعد الحرب لأنه لم يُلزم الإنجليز بأي شئ قبل أو خلال الحرب أما دولة النحاس باشا فقد ألزم الإنجليز بمعاهدة في حالة الحرب ضمن بها حقوق مصر**
- **ليس هناك أي ضمانات يمكن أن تقيد بها الاحتلال فهو إذا انتصر بمساعدتك في أي حرب أخري قد تحدث سيتنكر لك ويخلف كل وعوده**

وهنا قامت ليلي بتوجيه سؤال لوالدها :

- **بخبرتك يا أبي وبمعرفتك بما حدث من قبل ما الذي حمل النحاس باشا علي قبول التوقيع علي هذه المعاهدة ؟**
- **إنها قصة طويلة يا ابنتي**
- **لقد وعدتنا من قبل أن تحكي لنا تفاصيل لا نعرفها عن ثورة سنة ١٩١٩ وأعتقد أن الوقت قد حان لذلك يا أبي**

فقال سعد :

- **أجل يا أبي أرجوك أن تحكي لنا القصة كاملة**

وقال حسين :

- أنا أعرف يا أبي أنك محتفظ بكل ما كان يطبعه الوفد وينشره من رسائل وخطب سعد باشا وكل أنشطة الوفد المصري منذ تشكيله وهي تعتبر وثائق مهمة جداً حالياً وستساعدني في عملي كثيراً ، وكما قال الشاعر

فَعَلِّم ما اِستَطَعتَ لَعَلَّ جيلاً سَيَأتي يُحدِثُ العَجَبَ العُجابا

- لقد قام الوفد بالفعل بتسجيل كل أنشطته وقام بنشرها أولاً بأول بعد أن قام الشعب بجمع التوكيلات له إحساساً منه بالمسئولية التي حملها فكأنه يعرض تقرير بما يقوم به لمن وكلّه بالمهمة فقام بطباعة ونشر جميع الرسائل والتصريحات التي يقولها سعد باشا في الخطب الرنانة وقد احتفظت بالطبع بكل هذا

فقال شريف :

- ستكون فرصة جيدة لنعرف تاريخ ما حدث بدقة وشفافية

فقال الأب :

- أراكم قد أجمعتم علي طلب واحد وأنتم نادراً ما تجتمعون علي شئ

ثم نظر الأب لزوجته كأنه يستشيرها فيما عليه أن يفعل وكانت تفهمه من نظراته وتعبيرات وجهه ، فقالت:

- أن يعرفوا منك خير من أن يعرفوا من مصادر أخري

وهنا تشجع الأب وقرر أن يقص عليهم تاريخ مصر في تلك الفترة وطلب من زوجته أن تأتيه بحافظة أوراقه من الدولاب والتي خرجت لأول مرة منذ فترة طويلة فذهبت الأم وأحضرت الأوراق وقالت وهي تنظر إلي شريف

- ولكن علينا أن نتحمل مشاكسات الشباب وجدالهم أثناء الحديث

فقال شريف :

- أليس من حقي أن أسأل واستفسر عن الغامض من الأمور ؟
- هناك فرق بالطبع بين الأسئلة والجدل ، وعلي أي حال أرجو عدم إرهاق والدك

ونهض حسين وأحضر بعض الأوراق وقلم لتسجيل ما يحتاج إليه من ملاحظات

وتنهد الأب تنهيدة طويلة واستعد للكلام ثم قال :

- يُمكن أن نبدأ في سرد الأحداث من عهد نشوب الحرب العظمي ومعاناة مصر خلالها فقد قدّمت مصر رغم أنفها خلال الحرب كل ما في جعبتها لخدمة بريطانيا وحلفاءها واستولت السلطة العسكرية علي الدواب اللازمة لها ، فلم تُبق علي جمل أو حمار صالح للعمل إلا استولت عليه بأبخس الأثمان ، وكذلك فعلت فيما لزمها من الحبوب والمؤن وعلف المواشي ، حتي لم يجد الناس ما يلزمهم لقوتهم الضروري وعلف مواشيهم ، وكذلك استولت علي معظم الأشجار الخشبية لتنتفع بأخشابها ، هذا إلي أن مصر قد اضطرت إلي إنقاص مساحة الأراضي المنزرعة قطناً لزيادة مساحة الأراضي المنتجة للحبوب ، وذلك لتموين الجيوش

المتدفقة علي مصر أو في ميادين القتال وجملة القول أن جميع موارد مصر من الرجال والمهمات والمؤمن والمواشي والحاصلات الزراعية والصناعية كانت تحت تصرف السلطة العسكرية البريطانية ، -- وأُرهقت السكك الحديدية بحركات النقل الحربي ، وتلف بذلك عدد كبير من القاطرات والعربات والمهمات) وانتشر في مصر جنود الحلفاء من كل صنف ولون وعاثوا في الأرض فساداً وأساء جنود الإمبراطورية البريطانية معاملة المصريين عامة ، وجندت السلطة العسكرية البريطانية نيفاً ومليون مصري في مختلف أرجاء البلاد لاستخدامهم في أعمال الجيش البريطاني وكانوا يُربطون بالحبال ويُساقون كالأنعام بالكرباج ويُقام عليهم الحراس ، ويُنقلون بالقطارات في مركبات الحيوانات ويُعاملون أسوأ معاملة وبمنتهي القسوة يتم جلد من يتقاعس منهم ، ومات كثيرون منهم في ميادين القتال وأُصيب كثير منهم بالأمراض والعاهات التي جعلتهم عاجزين عن العمل

فقال شريف :

- لا حول ولا قوة إلا بالله كل هذا الاستنزاف للأموال والأنفس في سبيل تحقيق المجد لبريطانيا؟ إنها جريمة مكتملة ولا تسقط بالتقادم
- أجل يا بني وقد استمرت جرائم بريطانيا في حق الشعب المصري إلي أن انتهت الحرب وانتصرت بريطانيا وحلفاءها وتم عقد الهدنة
- فماذا حدث بعد انتهاء الحرب ؟
- عندما أشرفت الحرب علي نهايتها ، واقترب موعد تقرير مصير الدول والشعوب ، أخذ ذوو الرأي من المصريين يفكرون في طريق عملي لرفع صوت مصر ، وتمثيلها في مؤتمر الصلح ، وزاد في هذه الحركة الفكرية ما ترامي من أنباء الشعوب الصغيرة ، إذ أخذت تتأهب لإرسال وفودها إلي المؤتمر لتحقيق آمالها القومية تطبيقاً لمبادئ الرئيس ويلسون فاتفق سعد باشا زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية مع عبد العزيز فهمي بك وعلي شعراوي باشا زميليه في الجمعية التشريعية علي أن يطلبوا من دار الحماية البريطانية تحديد موعد لهم ليقابلوا السير رجنلد ونجت المندوب السامي البريطاني ، للتحدث إليه في طلب لترخيص لهم في السفر إلي لندن لعرض مطالب البلاد علي الحكومة الإنجليزية
- كيف نعرض المطالب علي بريطانيا وهي الخصم ، وكما قال المتنبي :

"يا أعدل الناس إلا في معـاملتي فيك الخصام و أنت الخصم والحكم "

- كان هذا الطلب بنصيحة من حسين رشدي باشا رئيس الوزارة ، وبوساطته طلبوا هذه المقابلة يوم الاثنين ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وهو يوم إعلان الهدنة وانتهاء الحرب ، فأجابت دار الحماية طلبهم ، بوساطة رشدي باشا أيضاً ، وحددت لهم يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ الساعة الحادية عشرة صباحاً موعداً

للمقابلة المطلوبة ، وقابل ثلاثتهم المندوب السامي في الموعد المحدد ودار بينهم حديث طويل ورد بكتاب الرافعي عن ثورة ١٩١٩

فقال حسين :

- وها قد أتينا للحديث عن يوم الأربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨
- إن هذا اليوم لم يكن يوماً عادياً في تاريخ مصر ، فهو اليوم الذي التقي فيه سعد باشا زغلول برأس الاحتلال البريطاني البغيض في مصر ، ولم يكن سعد باشا وحده بل كان معه علي باشا شعراوي وعبد العزيز بك فهمي وهي أسماء كانت ومازالت ملء السمع والبصر

فقال سعد وكأنه لم يكن يركز فيما قاله والده :

- ولكن لماذا ذهبوا إلي المندوب السامي البريطاني السير وينجت ولماذا في هذا التوقيت وماذا قالوا له وماذا قال لهم ؟
- لقد توجهوا إليه كما قلت بعد انتهاء الحرب التي استمرت من سنة ١٩١٤ إلي سنة ١٩١٨ ليسمح لهم بالسفر إلي لندن حتي تقوم بريطانيا بعرض قضية مصر علي مؤتمر الصلح في باريس

فقال حسين مخاطباً سعد :

- إنه المؤتمر الذي قرر المنتصرون في الحرب عقده لتوزيع الغنائم وفرض المصالح ووضع الأسس والقواعد التي يجب أن يسير عليها العالم طبقاً لمصالحهم

وأضاف شريف :

- لأن المنتصرون دائماَ هم الذين يضعون القانون فإن خالفتهم فأنت تخالف القانون

وقال الأب مستكملاً القصة :

- كانوا يريدون السفر كوفد مصري لعرض قضية استقلال مصر عن بريطانيا وبدأ السير ونجت الحديث بقوله : إن الصلح اقترب موعده ، وإن العالم يفيق بعد غمرات الحرب التي شغلته زمناً طويلاً ، وإن مصر سينالها خير كثير ، وإن الله مع الصابرين ، وإن المصريين هم أقل الأمم تألماً من أضرار الحرب ، وإنهم مع ذلك استفادوا منها أموالاً طائلة ، وإن عليهم أن يشكروا دولة بريطانيا العظمي التي كانت سبباً في قلة ضررهم وكثرة فائدتهم

فأجابه سعد باشا :ما تكون إنجلترا فعلته خيراً لمصر فإن المصريين بالبداهة يذكرونه لها مع الشكر ، وخرج من ذلك إلي القول بأن الحرب كانت كحريق انطفأ ولم يبق إلا تنظيف آثاره وأنه يظن أن لا محل

لدوام الأحكام العرفية ولا لمراقبة الجرائد والمطبوعات ، وأن الناس ينتظرون بفروغ الصبر زوال هذه المراقبة كي ينفسوا عن أنفسهم ويخففوا عن صدورهم الضيق الذي تولاهم أكثر من أربع سنين

فقال السير ونجت حقاً أنه ميال لإزالة المراقبة المذكورة ، وأنه تخابر فعلاً مع القائد العام للجيوش البريطانية في هذا الصدد ، ولما كانت هذه المسألة عسكرية فإنه بعد تمام المخابرة والاتفاق مع القائد سيكتب للحكومة البريطانية ، ويأمل الوصول إلي ما يرضي ، ثم استمر قائلاً : يجب علي المصريين أن يطمئنوا ويصبروا ويعلموا أنه منذ فرغت إنجلترا من مؤتمر الصلح فإنها تلتفت لمصر وما يلزمها ولن يكون الأمر إلا خيراً

فقال سعد باشا : إن الهدنة قد عُقدت ، والمصريون لهم الحق أن يكونوا قلقين علي مستقبلهم ، ولا مانع يمنع الآن من أن يعرفوا ما هو الخير الذي تريده إنجلترا لهم

فقال ونجت: يجب ألا تتعجلوا وأن تكونوا متبصرين في سلوككم ، فإن المصريين في الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة

وهنا توقف الأب عن الحديث ليري تأثير كلامه علي الأولاد ويتأكد من حُسن المتابعة لما يقول

فقال حسين لتأكيد كلام والده :

- كان المصريون قد عقدوا آمال كبيرة علي حضور المؤتمر ، وشجعهم علي ذلك ما سمعوه عن الميثاق الذي أعلنه الرئيس الأمريكي ويلسون والذي يتضمن حق كل الشعوب في تقرير مصيرها

فقال شريف :

- ولكن المدعو وينجت كغيره من المحتلين والمغتصبين في العالم كان يعتبر مصر مجرد مستعمرة بريطانية وليس لها الحق في تمثيل نفسها أمام المجتمع الدولي فهي شأن من شئون بريطانيا وليس لها حتي وزير للخارجية أو سفارات أو قنصليات في أي مكان في العالم ، فكيف تصور سعد باشا أن وينجت سيسمح له بالسفر ؟ إنه أمر محير بالفعل عندما تفكر فيه
- ولكنه حاول علي أي حال وطلب السفر بالفعل ، ودار حوار طويل بينه وبين وينجت
- إنه حوار عجيب إذا تأملته من وجهة نظر المحتل وبطولي إذا تأملته من وجهة نظر الشعب ، وغير مُجدي علي الإطلاق من وجهة نظر المنطق

فقالت ليلي :

- يبدو أن حسين وشريف لديهما فكرة عن الحوار الذي دار يوم ١٣ نوفمبر أما أنا وسعد فلا نعرف عنه شيئاً ، فأرجوك يا أبي حدثنا عن هذا الحوار لأني اشتقت لمعرفته ، فكيف رد مثلاً سعد باشا زغلول عندما قال

المندوب السامي : لا تتعجلوا ، ويجب أن تكونوا متبصرين في سلوككم ، فإن المصريين في الحقيقة لا ينظرون للعواقب البعيدة

- **رد سعد باشا قائلاً : إن هذه العبارة مبهمة المعني ، ولا أفهم المراد منها فقال ونجت : أريد أن أقول إن المصريين ليس لهم (رأي عام) بعيد النظر فقال سعد باشا : لا أستطيع الموافقة علي ذلك فإني إن وافقت أنكرت صفتي ، فإنني منتخب في الجمعية التشريعية عن قسمين من أقسام القاهرة ، وكان انتخابي بمحض إرادة (الرأي العام) مع معارضة الحكومة واللورد كتشنر في انتخابي ، وكذلك كان الأمر مع زميلي علي شعراوي باشا وعبد العزيز بك فهمي فقال السير ونجت : إنه قبل الحرب كثيراً ما حصل من الحركات والكتابات من محمد فريد وأمثاله من الحزب الوطني ، وكان ذلك بلا تعقل ولا روية ، فأضرت مصر ولم تنفعها فما هي أغراض المصريين؟ فقال علي شعراوي باشا :إننا نريد أن نكون أصدقاء للإنجليز صداقة الحر للحر لا العبد للحر**

فقال شريف :

- **لا توجد صداقة بين الحر والعبد فلماذا الإصرار علي تخيل وضع غير موجود في الواقع ، أنت تصبح عبداً عندما تقرر ذلك في داخلك بل وتصنع سيدك بنفسك وتجعله يتسلط عليك وتشعر بالدونية تجاهه ، والحرية تُنتزع ولا يتم تسولها**

فقال حسين :

- **ليس هذا وقت الفلسفة والجدال يا شريف ، أرجوك يا أبي أكمل لنا الحوار**

فاستكمل الأب كلامه قائلاً :

- **فقال السير ونجت : إذاً أنتم تطلبون الاستقلال ؟ فقال سعد باشا : ونحن له أهل ، وماذا ينقصنا ليكون لنا الاستقلال كباقي الأمم المستقلة ؟ فقال السير ونجت : ولكن الطفل إذا أعطي من الغذاء أزيد مما يلزم تخم فقال عبد العزيز بك فهمي : نحن نطلب الاستقلال التام وقد ذكرتم جنابكم إن الحزب الوطني أتي من الحركات والكتابات بما أضر ولم يفد ، فأقول لجنابكم إن الحزب الوطني كان يطلب الاستقلال ، وكل البلد كانت تطلب الاستقلال ، وغاية الأمر إن طريقة الطلب التي سار عليها الحزب الوطني في تنفيذ مبدئه الأساسي الذي هو مبدأ كل الأمم ، وهو الاستقلال التام ، قام جماعة من الشيوخ الذين لا يُظَن فيهم التطرف في الإجراءات وأسسوا حزب الأمة وأنشأوا صحيفة "الجريدة" وكان مقصدهم هم أيضاً الاستقلال التام ، وطريقتهم أخف في الحدة من طريقة الحزب الوطني ، وذلك معروف عند الجميع ، والغرض منه خدمة نفس المبدأ المشترك بطريقة تمنع الاعتراض ، ونحن في طلبنا الاستقلال التام لسنا مبالغين فيه فإن أمتنا**

أرقي من البلغار والصرب والجبل الأسود وغيرها ممن نالوا الاستقلال قديماً وحديثاً ، فقال السير ونجت : ولكن نسبة الأميين في مصر كبيرة لا كما في البلاد التي ذكرتها إلا الجبل الأسود والألبان علي ما أظن

فقال شريف مقاطعاً والده مرة أخري :

- وهكذا استمر الحوار علي هذا النحو العقيم ، ونجت يؤكد لهم علي عدم حقهم في الاستقلال ، وهم يؤكدون علي حقهم في الاستقلال وأنهم أهل له ، ولعلكم لاحظتم في هذا الحوار مدي الإحساس بالدونية من الجانب المصري والإحساس بالكبر والتعالي من جانب المندوب الغير سامي في رأيي ، فهم الذي جعلوا منه سامياً وهو ليس كذلك ، فهذا النوع من المغتصبين اللصوص الذين نهبوا خيرات مصر وأذلوا شعبها وعذبوه وقتلوه من أجل مصالحهم فقط ولرفاهية شعبهم فقط ، هذا النوع من البشر لا يفهم لغة التفاوض والحديث بالمنطق ، إنه لا يفهم إلا لغة القوة لغة أحمد عرابي ، ولا مكان للضعفاء في عالمه فهو يحتقرهم ويهينهم ومن لم يرع لنفسه حقها هواناً بها كانت علي الناس أهون

وهنا لاحظت الأم تغير وجه الأب وبدا عليه الغضب فقررت أن تُنهي الجلسة كالعادة فقالت :

- يبدو أننا سهرنا الليلة أكثر من اللازم ووراءنا غداً الكثير من الأعمال فلنذهب لننام

وفهم الجميع كالعادة أيضاً المغزي من كلام الأم فقام كلٌ منهم في صمت لينام

وفي اليوم التالي توجه كل منهم إلي مقر عمله ، وعندما عاد الجميع للمنزل وحصلوا علي قسط من الراحة بعد عناء العمل وتناولوا الطعام اجتمعوا في المساء حول أبيهم كعادتهم اليومية ، وبدأت ليلي الحديث كالعادة ووجهت كلامها لوالدها قائلة :

- هل من الممكن يا أبي أن نستكمل الحديث الذي بدأناه عن لقاء سعد باشا ورفاقه بالمندوب السامي البريطاني

فقال الأب :

- يبدو أنه لا مفر من ذلك يا ابنتي ، فطالما بدأناه لابد من أن ننهيه ، وعلي أي حال استمر الحوار إلي أن وصل الحوار إلي نقطة شائكة أثارها ونجت حين قال : ولكن مركز مصر حربياً وجغرافياً يجعلها عرضة لاستيلاء كل دولة قوية عليها وقد تكون غير إنجلترا

فقال شريف :

- يا له من محتل خبيث يشير إلي أن بريطانيا إذا تركت فراغ في مصر فسوف يقوم غيرها بشغله ولن تقوي مصر علي منع أي دولة قوية من احتلالها ، إذن فليظل الاحتلال البريطاني ليشغل الفراغ ، فكيف رد سعد باشا علي هذه النقطة ؟

- **للأسف يا بني لقد رد سعد باشا رد مريح تماماً للاحتلال ، حيث قال سعد باشا : متي ساعدتنا إنجلترا علي استقلالنا التام ، فإننا نعطيها ضمانة معقولة علي عدم تمكين أي دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة إنجلترا فنعطيها ضمانة في طريقها للهند وهي قناة السويس ، بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند الاقتضاء ، بل نحالفها علي غيرها ونقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود ، وقدم علي باشا شعراوي تنازل آخر يتعلق بالديون فقال : فيمكن بقاء المستشار الإنجليزي بحيث تكون سلطته هي سلطة صندوق الدين العمومي ، وأكد سعد باشا علي وصف بريطانيا بالعظمة حيث قال : وإننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصاً لهذه الدولة العظيمة ، ولا نلتجئ هنا لسواك ولا في الخارج لغير رجال الدولة الإنجليزية**

فقال شريف منفعلاً ووالده يعذره بالطبع :

- **وبعد كل هذه التنازلات وإعطاء الدنية وتعظيم الخصم المغتصب الحقير ، رفض ونجت مطالبهم واعتبر أن هذا الحديث مجرد حديث ودي وغير رسمي**

قال حسين :

- **كان ونجت يري أن مصير مصر مسألة تخص الإمبراطورية البريطانية وحدها فهي بلد تحت الحماية الإنجليزية أي جزء من أملاكها وأراضيها**

فقال الأب استكمالاً لما قاله حسين :

- **ولهذا رفض ونجت السماح لهم بالسفر وقال إنه ليس لهم الحق في الكلام باسم مصر فسارع الثلاثة إلي أخذ توكيل من الشعب ليتكلموا باسمه وسارع الشعب فأعطاهم التوكيل بالإجماع واعتبرهم – وفداً – موكلاً منه للكلام باسمه والمطالبة بحريته**

قال حسين :

- **وما حدث من قيام الشعب علي الرغم من أميته بجمع التوكيلات يؤكد أنه يفهم جيداً معني الديمقراطية ويقدر قيمة الحرية علي عكس ما يردده البعض ، فهناك من يتهم الشعب المصري بعدم قدرته علي ممارسة الديمقراطية ويحرمه منها ، متجاهلاً ما حدث في نوفمبر ١٩١٨**

فقال الأب مصدقاً لكلام ابنه حسين :

- **بالفعل ولقد أشار سعد باشا في إحدي خطبه أن قيام الشعب بعمل التوكيل يؤكد نفي اتهامه بأنه يقبل بالدرك الأسفل من الحياة فيرضي بالأمن والطعام والكساء فقط كالعبيد ، بل إنه يعتبر أن الحرية مطلب وحاجة من الحاجات الأساسية بل أهم هذه الحاجات وأعظمها**

قالت ليلي :

- **إن الحرية لا تحتاج إلي مستوي عالي من الثقافة لتدرك معناها ، فأنت تري العصفور علي سبيل المثال يرفض طعامك ويطير مهما حاولت استدراجه فهو لن يثق بك ، وحريته بالنسبة له أهم كثيراً من الطعام**

قال الأب :

- **كان الشعب يحتاج إلي زعيم وطني يثق به ، فقام بجمع التوكيلات وبذل في ذلك الغالي والنفيس ، ولكن للأسف لم يعترف ونجت بهذه التوكيلات ولم تقتنع بها بريطانيا التي تدَّعي أنها واحة الديمقراطية في العالم**

قال شريف :

- **بالطبع لم يكن المستر ونجت يلهو أو يلعب وهو الخبير بالشئون المصرية ، وقد قبل الحديث مع هؤلاء الثلاثة ليحقق أكثر من هدف ، وهو الذي يعرف جيداً أن جميع الأحوال في مصر تبشر بانفجار الثورة ، وكان ونجت يستهدف تخدير الجماهير بمثل تلك المحادثات ويهدف أيضاً إلي إظهار زعامة أخري للجماهير غير زعامة الحزب الوطني المتشددة والمتطرفة من وجهة نظره طبعاً ، أي أن الهدف هو منع انفجار الثورة ، أو وضع زعامة فوق رأسها تكون أكثر استعداداً للتفاهم**

قال حسين :

- **علي كل حال ابتلع الثلاثة الطعم إلي آخره ، أو قل حاولوا تبليعه للشعب المصري فاتفق سعد زغلول مع حسين رشدي باشا علي تأليف هيئة تسمي "الوفد المصري" وأن تحصل هذه الهيئة علي توكيلات من الأمة تخولها هذه الصفة ، أي ظهور قوة شعبية أخري كبديل عن الحزب الوطني ، وبالطبع فإن هذه القوة الجديدة مرشحة لاستقطاب عدد كبير من الجماهير ما دامت تطالب بالاستقلال ، ولكن بشرط ألا تكون هذه القوة الجديدة ثورية وأن تقتصر علي الوسائل القانونية والتفاوضية**

قال شريف المعارض دائماً والذي يزعج والده بآراءه المتطرفة والصادمة وكأنه يسبح ضد التيار :

- **الذي أعرفه أن سعد باشا زغلول كان وزير المعارف في حكومة مصطفي فهمي منذ ١٩٠٦ وقد وقف من خلال ذلك المنصب موقفاً مريباً من الحركة الطلابية – ووقف ضد اقتراح الجمعية العمومية بجعل التعليم في المدارس الأميرية باللغة العربية بدلاً من الإنجليزية "مارس ١٩٠٧" وقد كتب مصطفي كامل تعليقاً علي هذا الأمر : "إن الناس قد فهموا الآن " بأوضح مما كان يفهمون من قبل لماذا اختار اللورد كرومر لوزارة المعارف العمومية صهر رئيس الوزراء مصطفي فهمي باشا الأمين علي وحيه الخادم لسياسته وفهمت الناس الآن أن سعد زغلول شديد الميل إلي السلطة وكان سعد باشا لا ينكر علاقته الودية باللورد كرومر ، بل إن سعد باشا زغلول امتدح اللورد كرومر في حفلة توديعه عقب حادثة دنشواي وهي الحفلة التي قاطعها**

الشرفاء جميعاً كاحتجاج علي الأقل علي مذبحة دنشواي – إذن كيف أصبح سعد زغلول قائداً للثورة ؟ أليس هذا مثار للعجب – علي كل حال نشأ الوفد المصري علي يد سعد زغلول وحسين رشدي وأصبحت المسألة في مصر تتلخص في شعب ثائر وقيادة مهادنة

وهنا بدأ الأب يشعر بالغضب ولكن شريف أصر في عناد علي استكمال كلامه فقال :

- والملاحظة الأولي علي هذا الوفد أنه قد استبعد من عضويته أياً من عناصر الحزب الوطني أو العناصر المناوئة للاحتلال بل كان يضم شخصيات إما موالية للاحتلال أو علي الأقل غير معادية له ، وكانوا جميعاً من كبار ملاك الأراضي أو من أعضاء الجمعية التشريعية أو من قيادات حزب الأمة المعروف بعدم عدائه للإنجليز . بل في عضويته أحمد لطفي السيد وهو زعيم حزب الأمة والمناهض الأول للحركة الوطنية والذي كان يتهمها بالتطرف ويمتدح سلوك الإنجليز في مصر ويشيد بإنجازاتهم ويدعو للتعاون معهم ، وأثنين فقط من الحزب الوطني ولكن من المعتدلين هما علوبه باشا وعبد اللطيف المكباتي

فقال حسين :

- ولماذا لا تقول إن تعمد استبعاد العناصر المناوئة للاحتلال كان تكتيكاً ذكياً لعدم استفزاز بريطانيا ، ومحاولة استرضائها لتمنحنا الاستقلال
- ولكن هل هكذا تحصل الأمم علي استقلالها ؟ هل بالاسترضاء ؟ أليست خبرة التاريخ في كل مكان وزمان تقول أن الاستقلال يُنتزع ولايُمنح ، وأن الاسترضاء ليس سبيلاً بأي حال من الأحوال للحصول علي حقوق الشعب ؟ وقد صدق أبو تمام حين قال: السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ ، في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ ، بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

وعندما لاحظت الأم تغير وجه الأب قامت بالدور الذي تقوم به كل ليلة وأنهت الأمسية

وفي اليوم التالي توجه كل منهم إلي مقر عمله ، وعندما عاد الجميع للمنزل وحصلوا علي قسط من الراحة بعد عناء العمل وتناولوا الطعام اجتمعوا في المساء حول أبيهم كعادتهم اليومية ، وبدأت ليلي الحديث كالعادة ووجهت كلامها لوالدها قائلة في براءة :

- لقد لاحظت يا أبي عدم ذكرك لدور السراي في كل ما قصصته علينا ، فأين كان السلطان من كل هذا؟

فقال الأب في أسي :

- للأسف يا ابنتي كان ونجت هو الذي يحكم مصر وليس فؤاد الذي كان يتربع علي عرش مصر

فقال شريف مخاطباً أخته :

- إنه عرش وهمي للتنعم فقط وليس للحكم وهو عرش من صنع بريطانيا نفسها ، فهي التي جعلت منه سلطاناً لتلوين الصورة ليس أكثر

فقال حسين :

- إنه هو كسلطان لا يملك أن يخالف بريطانيا ، وهو نفسه يعرف ذلك جيداً ، ولا يمكنه أن يتعامل مع أي دولة في العالم إلا عن طريق المندوب البريطاني

فقال شريف :

- يا له من شعب مسكين يعتقد أن له الحق في ممارسة الديمقراطية كشعب حر مستقل ، إنه لا يعرف أن الذين اخترعوا الديمقراطية قد اخترعوها لأنفسهم فقط ولن يسمحوا لشعوبنا بممارستها ، فهم لا يعترفون بنا كشعوب من الأساس ، بل يعتبروننا مخلوقات علي هيئة بشر ولكننا لسنا بشر فهم عندما يتحدثون مثلاً عن حقوق الإنسان ، يجب أن تفهم أنهم لا يتحدثون عنك أنت بل يتحدثون عن الإنسان الغربي ، ودول الاحتلال عندما تضع القانون الدولي تضعه بحيث يكون سعي الدول المحتلة نحو استقلالها أمر غير قانوني ، وعندما تحلم شعوبها بالحرية ترتكب جريمة والمطالبة بالحياة الدستورية قلة أدب

فقال سعد مخاطباً والده في براءة :

- هل كان سعد باشا يعتقد أنه إذا حضر مؤتمر الصلح نفسه بباريس سيُقنع الجميع بحق مصر في الاستقلال ورفع الحماية البريطانية عنها ؟ ومتي كان ميعاد هذا المؤتمر ؟
- كان ميعاد جلسة افتتاح مؤتمر الحلفاء بباريس لتقرير شروط الصلح (مؤتمر الصلح) يوم ١٨ يناير ١٩١٩ –وعلي أي حال ظل سعد باشا يخطب ويتحدث في كل مناسبة ويراسل معتمدي الدول الأجنبية في مصر عن أهمية السفر وعن رفع الحماية البريطانية ، وكان الوفد المصري يقوم بطباعة جميع الرسائل التي يقوم بإرسالها وينشرها للناس كي يضعهم في الصورة من كل ما يقوم به الوفد الذي قام الشعب بتوكيله للتحدث باسمه ، مما كان يثير حماسة الشعب ، فكان الوفد يقوم بإعلام الشعب بالخطابات التي يتم إرسالها للسلطان والمندوب السامي ومعتمدي الدول وجميع الجهات داخل وخارج البلاد كما ينشرون خطب سعد باشا زغلول بعد أي مناسبة خطب فيها

قال حسين :

- الطريف أن حسين رشدي باشا رئيس الوزراء وقتئذ قد طلب هو أيضاً السفر ومعه أحد الوزراء وهو عدلي يكن باشا إلي إنجلترا لعرض قضية الاستقلال معتقداً والله أعلم ، أن ما قدمته مصر من تضحيات خلال الحرب كافي لإقناع الحكومة الإنجليزية بحصول مصر علي مكافأة مناسبة ، وهو كرئيس للحكومة المصرية

قد أشرف بنفسه بحكم عمله علي كل ما قدمته مصر خلال الحرب ويعرف تفاصيله جيداً ، وكان وينجت قد سافر إلي إنجلترا بناء علي استدعاء تم له ، ووعد رشدي باشا بعرض موقف سفره علي الحكومة الإنجليزية عندما يتواجد في لندن ، وبالطبع رفضت الحكومة الإنجليزية طلب سفر رشدي باشا عندما علمت أنه يطلب السفر أيضاً للوفد المصري ، فقدم استقالته للسلطان اعتراضاً علي رفض سفره ولكن السلطان طلب منه في أول مارس ١٩١٩ الاستمرار في إدارة الأعمال لحين تكليف وزارة جديدة

فقال شريف :

- **هل كان رشدي باشا يعلم أن السلطان فؤاد لا يعنيه الأمر من قريب أو بعيد ، وليس بيده شئ ، وكل ما يهمه هو التنعم بالسلطة التي تضمنها له بريطانيا**

وقال الأب الذي أصبح يتجاهل كل ما يقوله شريف ، مستكملاً القصة التي بدأها عن ثورة ١٩١٩ والتي كانت الأم تحفظها عن ظهر قلب وتساعد زوجها فتقدم له كل ورقة يحتاج إليها من حافظة أوراقه وكأنها تشعر بحاجته للورقة المناسبة في الوقت المناسب ، واستأنف حديثه فقال :

- **وظل سعد باشا زغلول يخطب ويتكلم عن حقوق مصر ويرسل الخطابات ويقوم الوفد بنشرها ، فمن ذلك مثلاً يوم ٢ مارس ١٩١٩ خطاب الوفد المصري للسلطان فؤاد اعتراضاً علي قبوله استقالة رشدي باشا ولم يرد السلطان علي الخطاب ويوم ٤ مارس ١٩١٩ خطابات الوفد المصري لمعتمدي الدول ليعلنوا احتجاجهم علي رفض الإنجليز السماح لهم بالسفر . وفي يوم ٦ مارس ١٩١٩ تم توجيه إنذار من الميجور جنرال وطسن قائد القوات البريطانية لسعد باشا زغلول والوفد بعد استدعاءهم في فندق سافواي بميدان سليمان باشا حيث مقر قيادته ليتوقف عن هذه المطالبات والمراسلات والأنشطة ، وبعد أن قرأ عليهم الإنذار وسلمه لهم ، طلب أحدهم التعليق ، فرفض قائلاً : لا مناقشة**

فقال شريف متهكماً :

- **تخيلوا ماذا فعل سعد باشا وأعضاء الوفد بعد هذا الإنذار القوي والحاسم ؟**

واستمر الأب في السرد وكأنه لم يسمع ما قاله شريف :

- **ولم يتراجع أعضاء الوفد أمام هذا الإنذار ، وبادر سعد في اليوم نفسه إلي إرسال برقية إلي المستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ، أنهي إليه فيها ما حدث**

فقال شريف :

- تخيل نفسك مكان رئيس الوزراء البريطاني وتصلك هذه البرقية التي يشكو فيها الوفد المصري من رفض القائد البريطاني أنشطتهم المناهضة للحماية البريطانية ، من المؤكد أنك ستشكر القائد لأنه يقوم بواجبه علي أكمل وجه إنها برقية تدل علي أنهم رجال طيبون جداً فهم يشتكون من الاحتلال للاحتلال
- وعندما علم القائد البريطاني ببرقية الوفد إلي رئيس الوزراء البريطاني ، اعتبر ذلك استمرار في نشاط الوفد وهو ما يعني عدم الإذعان للإنذار فقام باعتقال سعد باشا زغلول ومعه محمد محمود باشا واسماعيل صدقي باشا وحمد الباسل باشا بثكنات قصر النيل يوم ٨ مارس ١٩١٩ وفي اليوم التالي قام بنفيهم إلي جزيرة مالطة الخاضعة للاحتلال البريطاني

قال حسين :

- فقام علي باشا شعراوي وكيل الوفد بالاجتماع بأعضاء الوفد وقاموا بإرسال رسالة للسلطان فؤاد وبرقية لرئيس الحكومة البريطاني احتجاجاً علي ما حدث ظناً منهم أنه إجراء قد يحل المشكلة وكالعادة الخصم هو الحكم

فقال الأب :

- ولكن بمجرد انتشار خبر اعتقال الزعيم سعد باشا وصحبه بين المصريين انتشر السخط والغضب في العاصمة وسرت منها إلي الأقاليم فقد تم اعتقال الزعيم الشعبي معبود الجماهير الذي ترنو إليه الأبصار وتتعلق به الآمال والذي يتابع الجميع في مصر جميع خطبه ورسائله وبرقياته ويعدون أنفاسه ويرصدون تحركاته

فقال شريف موجهاً كلامه إلي أخيه الصغير سعد :

- قد يتبادر إلي ذهنك عندما تستمع إلي كلمة ثورة أنها بدأت بعنف وقوة ولكن ما حدث هو عكس ذلك تماماً فقد بدأت بمظاهرات سلمية تماماً تهتف بحياة مصر والوفد المصري وسعد باشا وبسقوط الحماية البريطانية ، ولو كان الإنجليز قد تركوا الشعب يعبر عما بداخله من مشاعر بسلمية لما حدث العنف ولكن للأسف لقد واجه الإنجليز المظاهرات السلمية والصدور العارية بالرصاص والعنف ، والعنف يولد العنف والدفاع المشروع عن النفس
- فكيف بدأت المظاهرات ؟

فسارع الأب ليجيب علي سؤال سعد قبل أن يفعل ذلك شريف بأسلوبه الغير مريح فقال :

- كان طلبة مدرسة الحقوق أول المضربين ، فقد امتنعوا عن تلقي الدروس منذ صبيحة هذا اليوم– ٩ مارس ١٩١٩– واجتمعوا في فناء المدرسة بالجيزة ، يعلنون إضرابهم ، فنصحهم المستر والتون ناظر المدرسة

بالعدول عن الإضراب ، وكان يخاطبهم بلطف ، فلم يستمعوا لنصيحته ، فاستدعي المستر موريس شلدون إيموس ، نائب المستشار القضائي البريطاني لوزارة الحقانية

فقال شريف مقاطعاً والده :

- منذ أن تم احتلال مصر ، كان هناك مستشارين بريطانيين في جميع الوزارات بل في جميع مؤسسات الدولة وكانوا هم الذين يتخذون القرارات فقد كان الاحتلال يسيطر علي جميع مفاصل الدولة ويديرها لصالحه معتمداً علي القوة العسكرية المنتشرة في كل مكان ، كما أن معظم الضباط في الجيش والبوليس من الإنجليز أما الجنود فمصريين

قال الأب :

- فجاء المستر موريس علي عجل وكرر عليهم النصح بالعودة إلي دروسهم ، ودعاهم إلي ترك السياسة لآبائهم ، فأجابوه إن آباءنا قد سُجِنوا ، ولا ندرس القانون في بلد يُداس فيه القانون ، فرأي المستشار أن لا سبيل إلي إقناعهم ، وقفل راجعاً ، وغادر الطلبة مدرستهم وتوجهوا إلي مدرسة المهندسخانة ، ثم إلي مدرسة الزراعة ، وكلتاهما بالجيزة ، فخرج معهم طلبة المدرستين ، ثم ساروا جميعاً يهتفون بحياة مصر وحياة سعد ، وذهبوا إلي مدرسة الطب بشارع القصر العيني ، فأراد ناظرها الدكتور كيتنج أن يحول بينهم وبين تلاميذها ، فرده هؤلاء ، وحصلت بينه وبينهم مشادة سقط فيها إلي الأرض ، وخرجوا وانضموا إلي إخوانهم ، وذهب الجميع إلي مدرسة التجارة العليا بشارع المبتديان ، وانضم إليهم طلبتها أيضاً ، وبعد أن غادروها سار الطلبة جميعاً متظاهرين هاتفين وقصدوا ميدان السيدة زينب ، وقبل أن يبلغوه أدركهم رجال البوليس فأحاطوا بمئات منهم ، وأخذوهم إلي قسم السيدة ، وفي ذلك الوقت أي بعد الظهر بقليل وصلت قوة "بلوك الخفر" مشاة وفرساناً آتية من المحافظة بقيادة الضابط آرشر وكيل الحكمدار

واستمر الأب في شرح كيف قام الطلبة بجمع بعضهم من جميع المدارس وساروا يهتفون في سلمية ثم انضم إليهم عامة الشعب واستمرت الثورة وسقط أول شهيد في اليوم التالي ١٠ مارس ثم تصاعدت الأحداث بعد ذلك وكثرت إراقة الدماء

وقال حسين :

- ولقد استنكر الطلبة بعد ذلك ما حدث من تجاوزات من بعض المواطنين والمندسين الذين صاحبوهم خلال مسيرتهم ونشروا بين الشعب أن مظاهراتهم سلمية ومن يريد مصاحبتهم بعد ذلك لابد أن يلتزم بالسلمية ، كما أرسلوا رسائل اعتذار لأصحاب المحلات من الأجانب التي تم تحطيم واجهاتها وأخبروهم أنهم يتبرءون من هذه الأفعال

- وحين نتحدث عن ثورة ١٩١٩ تتبادر للذهن أولاً صورة معركة بين جيش بريطاني مدجج بالسلاح وشعب أعزل لم يرهب الرصاص والمشانق وعذاب السجون وانقطاع الرزق ، صورة قتلي وجرحي ، ودم مراق ، وقضبان مخلوعة ، وترام محروق ، ومصابيح مكسورة ، ومدارس معطلة ، ومكاتب خاوية ، وصحف مكممة ، وأحكام عرفية ، صورة ساحة يتناثر فيها الحطام ويولول فوقها الموت والدمار ، هذا هو ما يعلق به التصور أولاً وتدور حوله الأحاديث ، العمل بالعنف المشروع لدحر عنف اعتداء إجرامي ، لا وسيلة غيره للتصدي لجبروت إنجلترا وإرغامها علي الجلاء من أجل أن تتحقق لمصر حريتها واستقلالها ، ولكي يستعيد الشعب كرامته من تحت أقدام الغاصب ، ولكن هذا العنف هو المظهر الخارجي ، فثورة سنة ١٩١٩ –قبل هذا كله وأهم من هذا كله–هي في المحل الأول قلب صفحة جديدة كل الجدة في حياة مصر ، لا علاقة بينها وبين الصفحة السابقة ، ولكي أوضح حرص المصريين علي سلمية الثورة في البداية ثم تحولها للعنف بسبب عنف الاحتلال الإجرامي سأضرب بعض الأمثلة التي تؤكد ذلك ، فأثناء الثورة ألف المتظاهرون جماعة منهم يتولون حفظ النظام في أثناء سير المظاهرات وفي الاجتماعات التي كانت تعقد لسماع الخطب أو لتنظيم المظاهرات ، سميت (الشرطة الوطنية) جعل لأفرادها شارات خاصة تميزهم عن سواهم ، وهي شريط من القماش الأحمر يحيط بالذراع الأيسر ، وقد كتب عليه بالقماش الأبيض (بوليس وطني) وكانوا يحملون العصي ليقصوا عن المتظاهرين من يندس فيهم من الغوغاء ، ومنهم من كان يحمل القرب وقلل الماء لسقيا من يظمأ من المتظاهرين ، وكان الجمهور يستجيب لنداء الشرطة الوطنية ، ويعمل بإرشاداتهم عن طواعية واختيار ، فكان لهذه الجماعة فضل كبير في تنظيم المظاهرات والبعد بها عن الاعتداء علي الممتلكات والأنفس ، وقد أسندت رئاستها إلي الشيخ مصطفي القاياتي ، وكان يصدر تعليماته إلي أفرادها من منزله بالسكرية

فقال شريف :

- وبالرغم من أن هذه الجماعة قد أفادت في حفظ النظام ومنع اندساس الغوغاء في المظاهرات فإن السلطة العسكرية البريطانية أصدرت أمراً في ١٨ إبريل سنة ١٩١٩ بمنعها ، وتوعدت من ينتمي إليها بالاعتقال والمحاكمة ، وهو ما يؤكد أن المصريين وحدهم هم الذين كانوا حريصين علي عدم دخول مندسين بين صفوف الثوار

قال حسين :

- ومن أمثلة الحرص علي سلمية الثورة أيضاً النداء الذي أصدره زعماء الشعب للحث علي تهدئة الأحداث ، وقد يكون أبي قد احتفظ بنسخة من هذا النداء

فأكد الأب كلام حسين وقامت الأم بإعطاء الورقة لزوجها ، فقال :

- اجتمع أعضاء الوفد وكبار العلماء وبعض الوزراء السابقين والأعيان واتفقوا علي إصدار نداء إلي الأمة يدعونها فيه إلي الإخلاد للهدوء والسكينة ، قالوا : أصدرت السلطة العسكرية – البريطانية – إنذاراً بأنها ستتخذ أقسي ما يكون من الوسائل الحربية عقاباً علي ما يقع من الاعتداء علي طرق المواصلات والأملاك العمومية ، ولا يخفي علي أحد أن الاعتداء سواء كان علي الأنفس أو علي الأملاك محرم بالشرائع الإلهية والقوانين الوضعية ، وإن قطع طرق المواصلات يضر أهل البلاد ضرراً واضحاً إذ هو يحول بينهم وبين مباشرة مصالحهم ، ويوقف حركة نقل المحاصيل والأرزاق ، ويعطل المعاملات والأخذ والعطاء ، ويسبب العسر وسوء الحال ، علي أن العقاب عليه يعرض بعض القري للتخريب ويعرض الأنفس البريئة إلي أن تؤخذ بما لم ترتكب من الذنوب ، وينبغي أن يلاحظ أن مثل هذا الاعتداء يضيع علي المصريين ما ينتظرونه من العطف عليهم بما يسبب من رواج إشاعات السوء عنهم ، من أجل ذلك رأي الموقعون علي هذا من أقدس الواجبات الوطنية أن يناشدوا الشعب المصري باسم مصلحة الوطن أن يتجنب كل اعتداء وأن لا يخرج أحد في أعماله عن حدود القوانين حتي لا يسد الطريق في وجه كل الذين يخدمون الوطن بالطرق المشروعة ، كما أننا ندعو أعيان البلاد وأرباب النفوذ فيها أن يقوموا بالواجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيسارعوا إلي اتخاذ جميع ما لديهم من الوسائل لمنع وقوع كل ما ينجم عنه ضرر للبلاد وإنا شديدو الرجاء في أن الأمة المصرية بما عرفت به من التعقل والروية تصغي إلي هذا النداء ، وتلزم طريق الحكمة في سلوكها ، والله الهادي إلي سواء السبيل ،٢٤ من مارس سنة ١٩١٩

قال حسين وكان مطلع علي كتب التاريخ المصري ومحتفظ بالعديد منها ، وقد قام وأحضر بسرعة كتاب عجائب الآثار للجبرتي :

- إن هذا النداء بالطبع يذكرنا بنداء مماثل نشره قادة الحملة الفرنسية علي لسان المشايخ علي حد تعبير الجبرتي رحمه الله خلال ثورة القاهرة ضد الحملة الفرنسية حيث كتب ما يلي : واستهل شهر جمادى الثانية بيوم السبت سنة ١٢١٣ فيه كتبوا عدة اوراق على لسان المشايخ وارسلوها الى البلاد والصقوا منها نسخا بالاسواق والشوارع وصورتها : نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ونبرأ إلي الله من الساعين في الأرض بالفساد ، نعرف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية بعدما كانوا أصحاباً وأحباباً بالسوية ، وترتب علي ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابرته ، وارتفعت هذه البلية لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة علي المسلمين ومحبة إلي الفقراء والمساكين ولولاه لكانت العساكر – الفرنساوية – أحرقت

جميع المدينة ونهبت جميع الأموال وقتلوا كامل أهل مصر ، فعليكم أن لا تحركوا الفتن ولا تطيعوا أمر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الأشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لا يقرأون العواقب لأجل أن تحفظوا أوطانكم وتطمئنوا علي عيالكم وأديانكم ، فإن الله سبحانه وتعالي يؤتي ملكه من يشاء ويحكم ما يريد ، ونخبركم أن كل من تسبب في تحريك هذه الفتنة قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ، ونصيحتنا لكم أن لا تلقوا بأيديكم إلي التهلكة واشتغلوا بأسباب معيشتكم وأمور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم والدين النصيحة والسلام

فقال شريف مستنكراً ومتهكماً من تلك النداءات :

- **هناك دائماً علي مر التاريخ نخبة من المنتفعين من وجود المحتل الغاصب أو الطاغية المستبد بشكل عام ، ويقومون بتهدئة الشعب حتي يتم نهبه في هدوء وبدون إزعاج اللص المغتصب ، فيصل به الأمر إلي الاعتقاد أنه يقوم بأمر طبيعي مع شعب اعتاد الظلم والقهر بل ولا يستطيع العيش إلا كالعبيد فالحرية لم تُخلق لأمثاله ، ومن ثم يستريح ضمير الطغاة ، وهذه النخبة بالطبع لا تمثل الشعب الحقيقي الواعي الذي يرفض الظلم والطغيان ، فيجب علي الشعب ألا يحيا حياة طبيعية أبداً في ظل الظلم فيثور ويُشعل البلاد ويُضرب عن كل ما يفيد الطغاة حتي يشعر الطغاة أن الحياة لن تكون طبيعية في وجودهم كما تريد النخبة المنتفعة**
- **لقد أكد الجبرتي أن هذا النداء (علي لسان المشايخ) أي أن الحملة الفرنسية هي التي كتبته ووزعته دون إقرار من علماء الأزهر**
- **أنا متأكد من وجود خونة يتعاونون مع الاحتلال في كل عصر وإلا بم تفسر صيغة النداء التي تنم عن إلمام كامل بأسلوب المشايخ في الحديث**

فقالت ليلي مخاطبة والدها لتنهي هذا النقاش والجدل :

- **فماذا كان دور النساء في الثورة ؟**

- **كانت مظاهرات النساء من أهم ما يميز الحراك السلمي للثورة ولم يتركه أيضاً الاحتلال بل طارده**

قال حسين :

- **بالمناسبة هناك قصيدة طريفة يصف فيها شاعر النيل حافظ إبراهيم مظاهرات النساء خلال الثورة ومما قاله فيها :**

خرج الغواني يحتججن ... ورحت أرقب جمعهنه

فإذا بهن تَخذن من ... سود الثياب شعارهنه

فطلعن مثل كواكب ... يسطعن في وسط الدجنه

وإذا بجيش مقبل ... والخيل مطلقة الأعنة

وإذا الجنود سيوفها ... قد صوبت لنحورهنه

وإذا المدافع والبنادق ... والصوارم والأسنه

والخيل والفرسان قد ... ضربت نطاقاً حولهنه

والورد والريحان في ... ذاك النهار سلاحهنه

فتطاحن الجيشان ... ساعات تشيب لها الأجنة

ثم انهزمن مشتتات ... الشمل نحو قصورهنه

فليهنهأ الجيش الفخور بنصره وبكسرهنه

فكأنما (الألمان) قد لبسوا البراقع بينهنه

فلذاك خافوا بأسهن وأشفقوا من كيدهنه

ثم استأنف الأب حديثه عن الثورة فقال :

- **ومن أحداث الثورة أيضاً رفض أهل زفتي الخضوع للحكم البريطاني فأعلنوا الاستقلال ولكن ليس عن مصر ولكن عن الاحتلال البريطاني ، فإذا كانت مصر بالكامل تخضع للاحتلال فمدينة زفتي ليس من بين الخاضعين ، حيث ألف طلبة المدرسة الثانوية " مدرسة السيد بك كشك " بزفتي مظاهرة طافت في المدينة وانضم إليها الأهلون ، فبعثت في المدينة وما حولها روح الثورة ، وتألفت لجنة للثورة برئاسة المرحوم الأستاذ يوسف أحمد الجندي ، أعلنت الاستقلال عن – الحكم البريطاني – وأنزلت العلم الذي كان يرفع علي المركز ، ورفعت بدله علماً آخر وطنياً ، إيذاناً بإعلان الاستقلال ، وأذاعت في منشور طبعته ووزعته في المدينة أن إليها يرجع الأمر والنهي ، وكان مأمور المركز من خيار الرجال ، وهو المرحوم اسماعيل بك حمد ، فتعاون مع اللجنة بصفة غير رسمية ، وشاركها شعورها وميولها ، إذ كانت ميوله وطنية ، وتركها تباشر سلطة الإدارة ، فألفت لجاناً فرعية ، إحداها للمحافظة علي الأمن وأخري لتحصيل عوائد البلدية ورسوم شركة الأسواق ، وأخذت تنفق ما حصلته في مرافق المدينة ، وردمت بعض المستنقعات وأصلحت الشوارع ، وشغلت في ذلك العمال العاطلين ، وكان اسماعيل بك حمد يجتمع وأعضاء اللجنة في مقرها**

بأعلي قهوة " مستوكلي " وأصدرت جريدة اسمتها " الجمهور " كانت تطبع بمطبعة محمد أفندي عجينة ، ولما ترامي نبأ هذه اللجنة وبخاصة إعلانها الاستقلال إلي السلطة العسكرية البريطانية ، أنفذت إليها قوة من الاستراليين لقمع الثورة ، وحين اقتربت القوة من المدينة أخذ الأهالي يحفرون الخنادق العميقة في الطرق الزراعية الموصلة إليها ، فاستعدت القوة لمهاجمة المدينة ، وصوبت إليها المدافع ، فتدخل اسماعيل بك حمد في الأمر وتوسط بين القوة ولجنة الثورة ونصح هذه بالكف عن المقاومة إبقاء علي المدينة ، وأذن للقوة بدخولها علي أن لا تتدخل في شئون الإدارة ، إذ احتمل هو مسئوليتها ، فدخل الجند المدينة ، وعسكروا في بحريها وقبليها ، وأخذوا يبحثون عن أعضاء لجنة الثورة ، فلم يرشد إليهم أحد ، وحظرت القوة علي الآهلين التجول في المدينة من غروب الشمس إلي مطلع الفجر

قالت ليلي :

- إن عدم القبض علي لجنة الثورة يعتبر عمل بطولي من أهلي زفتي الذين رفضوا الإبلاغ عنهم وتسليمهم

فقال حسين :

- بالتأكيد فقد تعرضوا بالطبع لضغوط كثيرة للإبلاغ عن أعضاء اللجنة
- وقد تكون السلطات قد رصدت مكافآت مغرية للإدلاء بمعلومات عنهم

فقال الأب مستكملاً سرد القصة :

- علي أي حال استمرت الثورة وتصاعد العنف من الجيش البريطاني وبدأ حرق القري التي يتعطل بالقرب منها المواصلات وخاصة السكك الحديدية وقام بعض المصريين في الصعيد باقتحام القطارات وقتل من بها من جنود الاحتلال

قال سعد :

- فكم بلغ عدد القتلي حتي ذلك الوقت ؟
- أعلن وكيل وزارة الخارجية البريطانية خلال خطبة له في مجلس العموم البريطاني عدد القتلي الذي بلغ ألف قتيل من المصريين و ٢٧ من الجنود البريطانيين ، وكان ذلك الإحصاء يوم ١٥ مارس ١٩١٩
- فماذا فعل الاحتلال بعد كل هذا ؟

فرد شريف قائلاً :

- قام بالطبع الإنجليز بتغيير المندوب السامي البريطاني المدعو ونجت بشخص قذر أو بمعني أدق أكثر قذارة من ونجت فهو دموي سفاح لا يعرف الرحمة وهو الجنرال أللنبي وحدث ذلك يوم ٢١

مارس ١٩١٩ ، وأللنبي هذا هو قائد ما يسمي التجريدة المصرية إلي فلسطين فهو الذي اقتحم القدس ودنسها تحت مسمي التجريدة المصرية وقام باحتلال فلسطين

فقال حسين وكان يساعد والده في سرد القصة وليعيد السياق إلي أصله :

- وبعد أن تأكد الإنجليز من اعتراف الدول بالحماية البريطانية علي مصر ومن بينها أمريكا التي قد كان أعلن رئيسها من قبل ويلسون مبادئ تعطي الشعوب حقها في تقرير مصيرها رأت بريطانيا أن تفرج عن سعد باشا زغلول وصحبه بل وتسمح للوفد بالسفر إلي أوروبا لأن سفر الوفد لم يعد له جدوي في حد ذاته ، كما أن الإفراج عن سعد سيقوم بمهادنة الثورة ، وتم الإعلان عن الإفراج عن سعد باشا زغلول وصحبه بتاريخ ٧ أبريل ١٩١٩ والسماح للوفد بالسفر إلي أوروبا وتعددت مظاهرات الفرح في جميع أنحاء مصر

فقال شريف :

- وبالإفراج عن سعد باشا اعتقد الشعب المسكين أنه قد نال حريته وانتصار ثورته ، وكل ما حدث أن سعد باشا والوفد هو الذي قد نال حريته وسافر إلي حيث قد وجد كل الأبواب مغلقة في وجهه واكتشف سعد باشا أن المصالح الاستعمارية أقوي من مبادئ الديمقراطية

فقال الأب في حسرة وكأنه يلخص كل ما قاله من قبل :

- للأسف لم تتمتع مصر بالديمقراطية مثلما تمتعت بها الشعوب الأوروبية ولم يكن طريق الديمقراطية مفروشاً بالورود رغم أن النهج الديمقراطي يقضي بنقل السلطة إلي الشعب بالوسائل السلمية وليس الثورية وتبدد الأمل الذي تطلعت إليه مصر عشية انتهاء الحرب العظمي

فقال شريف :

- لقد استطاع المعسكر المعادي للديمقراطية أن يعمل علي تعطيلها وخنقها عن طريق التآمر والدس والانقلابات ورغم أن هذا المعسكر كان يضم أشتاتاً من عناصر متنافرة إلا أن إرادتهم اتفقت علي حرمان الشعب المصري من ممارسة حقه في الديمقراطية ولو بحثتم عن الأصول الفكرية والنظرية لهذه العناصر فسوف تكتشفوا أنهم ينتمون إلي الفكر الغربي الديمقراطي وأنهم من دعاة تقليد النظم الأوروبية بزعم أن فيها الخلاص والأمل في نهضة مصر ، فأقطاب حزب الأمة الذين روجوا للديمقراطية الليبرالية بلسان رائدهم أحمد لطفي السيد تنكروا لمبادئهم عندما وضعوا في محك التجربة ، وازداد عداؤهم للديمقراطية عندما لفظتهم الجماهير في الانتخابات وتربصوا بالدستور كيد المنون ،

واشتركوا في الانقلابات التي دبرها القصر لتعطيل الحياة النيابية ، ورأينا الملك الجالس علي العرش –أحمد فؤاد– الذي تلقي تعليمه في المدارس الأوروبية وقضي شطر حياته الأولي في العواصم الغربية يتنكر للحياة الديمقراطية التي عايشها شاباً ويأبي أن يكون ملكاً ديمقراطياً علي شعب حر ، ورأيناه يستعيد التقاليد الأوتوقراطية التي ورثها عن أبائه ، أما الاحتلال الإنجليزي فصار يمثل الضلع الثالث في هذا المثلث المعادي للديمقراطية رغم انتسابه إلي بريطانيا العظمي التي دخلت التاريخ علي أنها أم الديمقراطية والنموذج المثالي لكل دولة تتطلع إلي الحياة النيابية الدستورية ، ونشأت من هذه القوي (ضفيرة) متشابكة المصالح والأهداف لإخماد رغبة الشعب المصري في الانطلاق والتحرر من التبعية والعبودية

قال حسين ليعيد تلخيص القصة :

- كما قلنا أنه عندما أذنت شمس الحرب العظمي علي المغيب خيل إلي الأمة المصرية أنه قد آن الأوان كي تنال حقها في الاستقلال يحدوها الأمل في أن تجد المساندة من الدول الأوروبية ذات التقاليد العريقة في الحرية ، ولكن المحن التي تعرض لها الكفاح الوطني المصري كشفت عن زيف الشعارات والمبادئ التي رفعتها هذه الدول وتبين أن إيمانها بالديمقراطية والحرية هو إيمان عنصري يقتصر علي الشعوب البيضاء أما الشعوب المقهورة فلا يحق لها أن ترتفع إلي مستوي الدول الحرة كانت بريطانيا قد فرضت حمايتها علي مصر عشية اندلاع الحرب وتحولت مصر بمقتضي الحماية إلي محمية بريطانية تحكم بقرارات من دار المعتمد البريطاني بالقاهرة ، وبلغت المهانة إلي حد تعيين الأمير حسين كامل سلطاناً علي مصر بقرار إداري من قصر الدوبارة ، وتكررت نفس المهانة في تعيين السلطان أحمد فؤاد ، وكان من شأن هذا الإذلال أن يوغر صدور المصريين ويدفع زعماءهم إلي السعي من أجل إزالة وصمة الحماية ، فلما أعلنت الترتيبات لعقد مؤتمر الصلح في باريس وجدها زعماء الحركة الوطنية فرصة لعرض قضية مصر علي المؤتمر علي أمل أن ينتزعوا من الدول الأوروبية المنتصرة قراراً برفع الحماية وشجعهم علي ذلك إعلان الرئيس الأمريكي ويلسون مبادئه الشهيرة في مساندة الدول المقهورة وعلي رأسها حق تقرير المصير ولكن عندما سافر زعماء الشعب إلي أوروبا وقع ما لم يكن في حسبانهم ووجدوا هذه الدول تتنكر لمبادئها وتدوس شعاراتها وتنصر الظالم علي المظلوم وأصدر مؤتمر الصلح قراراً يعترف فيه باستمرار الحماية البريطانية علي مصر ، وكانت تلك أول صدمة واجهت الوفد المصري ، أما الصدمة الثانية فكانت في تراجع الرئيس الأمريكي عن مبادئه واعترافه بالحماية البريطانية وتبين أن كلامه عن حق تقرير المصير للشعوب المقهورة لم

يكن سوي شعار زائف يضحك به علي العالم ، وكشف العالم الغربي الحر عن وجهه القبيح وسقطت الأقنعة التي خدعوا بها السذج الذين لم يفطنوا إلي الفجوة الهائلة بين المبادئ والتطبيق ، وتبين أن المصالح الاستعمارية أقوي من مبادئ الديمقراطية وأن المدنية الأوروبية لا تتورع عن استخدام نفس الأساليب والأخلاقيات التي كانت سائدة في العصور الوسطي

فقال الأب :

- **لقد أصيبت بالفعل الحركة الوطنية المصرية بصدمة لا يمكن إنكارها ولقد أعرب سعد باشا زغلول عن خيبة الأمل في السياسة الأوروبية في رسالة بعث بها إلي محمود باشا سليمان رئيس حزب الأمة ووكيل الوفد يقول فيها : منذ وصولنا باريس وجدنا جميع الأبواب موصدة في وجوهنا وكل الجهود والمساعي لم تؤد إلي نتيجة ، إن مهمة الوفد قد انتهت ولم يبق أمل في الحصول علي الاستقلال التام ، وإن كل قول عدا ذلك يعد مغالطة وأن عمل الوفد الآن ما هو إلا تنظيم للهزيمة**

قال حسين :

- **كانت كلمات سعد باشا تعبيراً عن المرارة وخيبة الأمل في دول أوروبا التي باعت مبادئها من أجل مصالحها**

فقال الأب :

- **ولكن سعد باشا زغلول الزعيم الذي حنكته التجارب والمحن لم يستسلم للهزيمة وازداد اقتناعاً بأن الكفاح الحقيقي في مصر وليس في أوروبا وأن عبء الاستقلال يقع علي عاتق المصريين أنفسهم وليس علي عاتق الأوروبيين أو الأمريكيين**

قال شريف :

- **إن الوفد المصري أدرك من الموقف الدولي القدر الضئيل الذي يلزمه ، فلم يتلكأ في تحويل قضية مصر عن النطاق الدولي المأمول إلي علاقة ثنائية بينها وبين إنجلترا فشد الرحال إلي لندن للمفاوضة ، بعد أن وجد جميع أبواب مؤتمر الصلح مغلقة في وجهه ، بعض رسائله أعيدت إليه دون أن تُفتح ، وقد أصيبت مصر بخيبة أمل قاسية جاءت هذه المرة من أمريكا لا من فرنسا ، هتفنا في المظاهرات إلي أن بحت الأصوات بحياة ويلسون وميثاقه المؤلف من ١٤ نقطة ، من بينها نقطة تعترف بحق كل شعب في تقرير مصيره ، فإذا بنا نعلم ذات يوم أن أمريكا اعترفت بالحماية البريطانية ، إنني لا أنسي إلي اليوم سخونة وجهنا في ذلك اليوم من أثر تلك الصفعة ، وقد كنا**

نكون في منجي من الإحساس بهذه الصفعة المؤلمة لو أن أحد بصرنا بحقيقة هامة كثيراً ما غابت عن قادة أفريقيا وآسيا وهي أن القانون الدولي موضوع لمصلحة دول حضارة أوروبا الغربية وحدها

قال حسين :

- **يبدو أن الرئيس الأمريكي ويلسون حين نادي بحق كل شعب في تقرير مصيره كان لا يقصد شعوب آسيا وأفريقيا بل شعوب أوروبا – – إنه لم يخن مصر ، بل مصر هي التي أساءت فهمه**

قال شريف :

- **علي أي حال انتهت الثورة وسافر سعد باشا والوفد إلي أوروبا ولم يتحقق أي شئ وعاد الزعيم إلي مصر بعد فشل المفاوضات ولكن الشعب المصري استقبله استقبال الفاتحين ، فهو شعب يحب أن يكون له زعيم ذو كاريزما خاصة كما يُقال فإذا مات الزعيم بحث عن غيره وهكذا**

قالت ليلي :

- **لقد سمعت أنه كان استقبال أسطوري ، فهل يمكن أن تصفه لنا يا أبي ؟**

فقال حسين :

- **لقد ملك سعد باشا ناصية الموقف من ساعة وصوله إلي شاطئ الإسكندرية ، وثبت في عالم العيان لمن كان في شك من الأمر إن هذا الرجل أقوي قوة في سياسة مصر القومية وأن كل اتفاق بين مصر وانجلترا يتم علي الرغم من هذا الرجل أو مع إغفال شأنه وتهوين خطره مستحيل ، وسوف يحكي لنا أبي مشكوراً ما حدث في يوم عودة الزعيم**

قال الأب :

- **إنني أتذكر ذلك اليوم كأنه أمس ، ولقد كان اليوم الرابع من إبريل –يوم وصوله إلي الإسكندرية– يوم الجيل بأسره في العالم بأسره ولك أن تقول وأنت آمن من الغلو أن استقبال سعد باشا في ذلك اليوم وفي اليوم الذي بعده كان أفخم استقبال لرجل من الرجال في هذا القرن حتي الآن**

فقالت ليلي :

- **فهل كان أهل الإسكندرية هم أكثر المستقبلين بحكم وجود الميناء عندهم ؟**
- **بالطبع لا ، فقد انتظمت مصر كلها موكباً واحداً للحفاوة به من شاطئ البحر بل من مدخل الميناء إلي عاصمة الديار المصرية وارتفعت الزينات وأقواس النصر من سلم الباخرة إلي حجرته في فندق**

كلاردج الذي نزل فيه وكان الناظر لا يري في كل مكان إلا صورة سعد ولا يسمع إلا الهتاف باسمه وأناشيد المترنمين بذكره

- فكيف ومتي تواجد كل هؤلاء المستقبلين قي الإسكندرية في آن واحد ؟
- لقد انقضي أسبوع قبل وصوله والوفود تتزاحم علي الاسكندرية من أقصي القطر إلي أقصاه حتي تعذر المبيت في الفنادق ولجأ الناس إلي البيوت يسألون أصحابها أن يؤوهم إلي مكان يسكنون إليه ريثما يحين اليوم الموعود ، ولم تبق شرفة في الطريق إلا غالي المستأجرون بثمن الوقفة فيها بضع ساعات حتي نيفت أجرة الشرفة علي أجرة البيت ، وضاقت الطرقات عن مسير المركبات وأوشكت أن تضيق عن مسير الأقدام من مجاز إلي مجاز
- فماذا حدث عندما استقل القطار من الإسكندرية إلي القاهرة ؟
- لما استقل القطار من الإسكندرية إلي القاهرة تلاحقت الجموع علي طول الطريق تأبي إلا أن تستوقفه مرات في غير مواضع الوقوف ومنهم من كانوا يترامون علي القضبان في بعض القري الصغيرة ليغتنموا لحظة من الوقت يقف فيها القطار ويطل فيها الزعيم علي المستقبلين
- يا لها من مخاطرة ، كيف يترامي الناس علي القضبان أمام القطار ؟ ، فماذا حدث عند وصوله إلي القاهرة ؟
- خرج كل مستطيع الخروج في مدينة القاهرة إلي الطريق ما بين باب الحديد إلي بيت الأمة يترقبون من الصباح ساعة قدوم الرئيس في نحو الخامسة من المساء فلما لاح لهم في سيارته نسوا أنفسهم أفراداً وذكروا أنفسهم قوماً واحداً لا اختلاف فيه بين صوت وصوت ولا بين دعاء ودعاء ، وبلغ من نسيان النفس وغلبة الوجدان علي الإرادة أن أناساً كانوا يتسلقون الأشجار والأسوار أرسلوا أيديهم ليصفقوا وهم لا يدرون أنهم معتصمون بتلك الأيدي من خطر الوقوع ، ولا خطر في الحقيقة من الوقوع حيث لا أرض في طول الطريق إلا وقد غشاها ألوف الواقفين ، وتمشت السيارة الهوينا وهي تكاد تزحف من بطء المشية بين الصفوف
- فكيف كان حال سعد باشا وسط كل هذا الزخم ؟
- كان سعد باشا واقفاً في العربة بقامته المديدة وطلعته المهيبة ومحضره المأنوس يحيي المحيين بكلتا يديه وتسترسل الدموع من عينيه ، وتلك طبيعة فيه إذا جاشت نفسه بالشعور واهتزت أريحيته بهزة الجمهور
- فمن كان أبرز المستقبلين له من الشخصيات المعروفة ؟

- **لا أريد أن نطيل في سرد أسماء المستقبلين ووصف معالم الاستقبال فإنما أردت وصف الأثر الطبيعي المفاجئ الذي كان لاستقبال سعد باشا في ضمير الأمة مما له دلالة قومية ، أما عن المراسم والأشكال فقد تتكرر في كل يوم بغير دلالة ، ويكفي أن نقول ان مصر لم تتمثل تمثلاً في موكب الاحتفال بعودة زعيمها الراجع إليها ولكنها كانت كلها موكب احتفال واحد لم يتخلف عنه مصري واحد قادر علي حضوره أو المشاركه فيه**
- **فهل حدث أي حادث خلال الاستقبال والزحام سواء في الإسكندرية أو القاهرة أو في الطريق بينهما ؟ فمثل هذه المواقف تكون فرصة للاستغلال من المجرمين**
- **لقد انقضي يوم الوصول إلي الإسكندرية ويوم الوصول إلي القاهرة ولم يحدث في المدينتين الحافلتين بألوف الألوف من أهلهما والوافدين إليهما ولا في طول الطريق بينهما حادث واحد مما يسجله الموكلون بالأمن في سائر الأيام ، كأنما غاب الأفراد في غمار (أمة واحدة) فلم يبق بينهم ما يكون بين الأفراد من نزاع واعتداء**

قال حسين :

- **لم يخرج الشعب في ذلك اليوم للفرجة – – ولكنها كانت قوة أحسها الشعب فانبعث بها إلي حيث تتلاقي أفواجه وتتزخر أمواجه ، وكان سعد باشا هو عنوان تلك القوة أو لسان تلك القوة أو مناط الأمل المرجو من تلك القوة ، وإذا وجدت الشعوب نفوسها واهتدت إلي سريرتها فإنما تجدها وتهتدي إليها في لحظة من لحظات النشوة الوطنية كتلك اللحظة التي استثارها فيها حب الزعيم والشوق إلي مرآه**

فقال شريف :

- **وهكذا عاد الزعيم إلي مصر بعد فشل مهمته خارج البلاد ولم تحصل مصر علي استقلالها**
- **ولكنها حصلت علي زعيم وطني محبوب ، بل وأجبرت الإنجليز علي تعيين رؤساء للحكومة مرضي عنهم من الشعب وزعيمه ، فتم تعيين عدلي يكن باشا رئيساً للحكومة وقد سماها سعد زغلول وزارة الثقة وعاد إلي مصر في عهدها**

فقالت الأم :

- **أتمني أن تحدث الأولاد عن اختلاف الأخلاق وخاصةً الشباب بعد الثورة**

قال الأب :

- في الحقيقة إن الأخلاق بشكل عام قد تراجعت بالفعل إلي حد ما بعد الثورة ، مثل الصدق والإخلاص ، والوفاء والمروءة قد نقص مستواها عما كانت عليه من قبل ، وطغت علي النفوس موجة من النفعية يلزمنا أن نتعاون علي صدها ، وهذه العوارض لا علاقة لها بالثورة وبعضها كان موجوداً إلي حد ما قبل الثورة

قال حسين :

- أعتقد أن قوة الملاحظة قد زادت فينا بسبب ارتقاء مستوي المدارك والأفكار فكشفت لنا عن عيوب كنا نغفل عنها ، أو لا نلقي بالاً إليها

فقال الأب :

- إن ازدياد قوة الملاحظة ظاهرة طيبة تدل علي أن الأمة سائرة في الجملة إلي الأمام ، ومن الحق أن نقرر أن معظم عيوبنا الأخلاقية قد ورثناها عن الأجيال الماضية ، وهي من نتائج نظم الحكم التي كانت مضروبة علي البلاد كما أن الجانب الأكبر منها يرجع إلي الاحتلال الأجنبي ، وما أفسده من نفوس الناس وأخلاقهم ووطنيتهم ، فهذا الذي نشكو منه من نفاق وجبن وذبذبة وتهافت علي المنافع الشخصية هو في الغالب من تراث الحكم المطلق وتأثير الاحتلال علي أن من الواجب أن نعترف أيضاً أن الشباب المتعلم كانوا قبل الثورة خيراً منهم بعدها ، ولعل من أهم أسباب هذه الظاهرة أن الثورة قامت علي أكتاف الشباب ، فسري الزهو والخيلاء إلي نفوس الشباب عامة ، حتي الذين لم يشتركوا في تضحيات الثورة ، ولم يقتبسوا من فضائلها فصرفهم هذا الشعور عن الإكباب علي دروسهم والاستزادة من العلم والمعرفة وداخلهم من هذه الناحية شئ كبير من الاستهتار والغرور ومال ميزان الأخلاق في نفوس الجيل ومما زاد الحالة سوءاً أن الشباب رأوا من تمليق بعض الشيوخ والزعماء لهم ما زادهم غروراً
- ولما استمر الانقسام بين الزعماء جهد بعضهم في أن يستميل – بعض الشباب – إلي جانبه وأغروهم بالمنافع والمزايا فأفسدوا فيهم روح الإخلاص وأضعفوا فيهم الناحية الخلقية

فقالت ليلي :

- وهل حدث انقسام بين الزعماء ؟
- للأسف نعم يا ابنتي فحيث كان عدلي باشا يكن يتولي رئاسة الوزراء قام بتشكيل وفد رسمي لاستئناف المفاوضات مع الاحتلال الإنجليزي وعرض علي سعد باشا زغلول ومن معه المشاركة فيه

ليصبح الوفد الشعبي جزء من الوفد الرسمي مما أغضب سعد باشا زغلول ومؤيديه والذي كان يرأس الوفد الشعبي الذي سافر إلي أوروبا كما ذكرنا وسدت جميع الأبواب في وجهه ، فانقسمت البلاد بين مؤيد للوفد الرسمي ومؤيد للوفد الشعبي ، وتحول الانقسام إلي عداء صريح راح ضحيته بعض المواطنين

- **يا للأسف ، فكيف حدث ذلك ؟**
- **لقد زادت المظاهرات عنفاً بعد تأليف الوفد الرسمي سواء في القاهرة أو الاسكندرية وفي كثير من المدن الأخري واتخذت طابع العداء لكل من خالف سعد باشا في رأيه ، والنداء بسقوطهم والاعتداء علي منازلهم بالطوب والحجارة ، وكان هذا من الظواهر الأليمة للانقسام ، ومن الأسلحة الممقوتة في الخصومة السياسية لأن النضال السياسي بين المختلفين في الرأي من أبناء الأمة يجب أن يكون مقصوراً علي نضال الآراء ومقارعة الحجة بالحجة وبذلك ينضج الشعب وترقي أفكاره ومداركه ، أما تحريض الجماهير علي الخصوم السياسيين واتخاذ الاعتداء وسيلة لإكراههم علي تغيير آرائهم فهو وسيلة تفسد الحياة السياسية وتهدم حرية الرأي والعقيدة ، ولقد نشر الأمير عمر طوسون نداءً بتاريخ ٢١مايو سنة ١٩٢١ يستنكر فيه هذا الاعتداء**
- **فماذا قال فيه ؟**
- **قال : يا أبناء بلدي الأعزاء ، بلغني مع أشد الأسف ما حدث من بعض أشخاص غير مسئولين في أثناء المظاهرات السلمية مثل مهاجمة بيوت بعض المخالفين لكم في الرأي والتقاذف بالأحجار في الشوارع الأمر الذي ما كنا ننتظر صدوره من أي مصري ونحن قوم نريد الاستقلال ونطلب الحرية وأساس هذا المبدأ احترام كل فريق رأي الآخر وعدم الحظر علي أحد وإن شذ في رأيه ، وإذا لم نحترم هذا المبدأ فلماذا نشكو من ضغط الإنجليز علي حريتنا ومصادرتهم لنا في آرائنا وكيف بعد هذا تريد طائفة منا إرغام مخالفيها علي اتباع رأيها بالقوة ؟ ، فأرجوكم أشد الرجاء الإقلاع عن هذه الخطة التي تضر قضيتنا المقدسة أكبر ضرر وتشين سمعتنا وتحط من كرامتنا ، وأناشد كل مخلص لوطنه محب لبلاده أن يجتهد في منع ما يثير شبه الأجانب فينا ويبعد عطفهم ويخلق التهم الباطلة لنا ، إنني لأقول هذا لا انحيازاً إلي جانب الوزارة لأني غير موافق علي خطتها كما أظهرت في اقتراحي ولكن الواجب هو الذي دفعني أن أبين لكم الخطر الذي ينجم عن سلوك طائفة منا غير المسلك القويم ، هدانا الله جميعاً إلي الصواب**
- **فهل أثر هذا النداء في مسار الأحداث ؟**

- لا للأسف ، هذا النداء الحكيم ذهب عبثاً في تيار الفتنة التي فرقت بين الناس وألقت بينهم العداوة والبغضاء ، وازدادت المظاهرات عنفاً في الاسكندرية ، واشتبك المتظاهرون يوم الأحد ٢٢ مايو سنة ١٩٢١ مع بعض الأجانب من الطبقات المتأخرة في حي الهماميل وتبادل الفريقان إطلاق الرصاص واشتعلت النار في عدة منازل ونهبت بعض المحال التجارية الأجنبية ، وبالجملة تحولت هذه المظاهرات إلي اضطرابات ألقت الفزع في النفوس ، وقد تدخل البوليس ثم الجيش المصري لقمعها ، ولم يعد النظام إلا في نحو الساعة الثالثة صباحاً ، واستمرت الاضطرابات الدامية يوم الاثنين ٢٣ مايو وتبودلت العيارات النارية من جديد بين الوطنيين والأجانب ، فتدخل جيش الاحتلال وتولي قومندان القوة البريطانية المرابطة في الاسكندرية قيادة المدينة ، وأصدر أمراً عسكرياً بمنع المرور في الشوارع بين الساعة التاسعة والنصف مساءاً إلي الساعة الرابعة صباحاً ما لم يكن بيد الشخص إذن بالمرور ، وبغلق جميع المحال العمومية في الساعة التاسعة مساء ، وقد عاد الهدوء إلي المدينة منذ مساء ذلك اليوم
- فكم بلغ عدد الضحايا في هذه الأحداث ؟
- بلغ عدد ضحايا تلك الاضطرابات الممقوتة ٤٣ قتيلاً و ١٢٩ جريحاً من المصريين و ١٥ قتيلاً و ٧١ جريحاً من الأوروبيين فكان لهذه المأساة وقع أليم في النفوس ورأي سعد باشا أن المظاهرات قد تعدت إلي الأجانب وتحولت إلي اضطرابات هي أبعد ما تكون عن التظاهر وأدرك خطورة العواقب السيئة التي نجمت عنها فنشر نداء ٢٤مايو بالحث علي الهدوء والسكينة وحسن معاملة الأجانب

قال حسين :

- وجدير بالذكر ان مفاوضات الوفد الرسمي برئاسة عدلي باشا يكن قد باءت بالفشل أيضاً كمفاوضات الوفد الشعبي برئاسة سعد زغلول ثم استقالت وزارة عدلي يكن

قال شريف :

- واستمر سعد باشا في ممارسة هوايته المفضلة كزعيم شعبي موهوب في الخطابة وإلقاء الخطب النارية التي تثير حماسة الجماهير وفي يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٢١ قامت السلطة العسكرية البريطانية بإنذاره بالكف عن الخطابة وعدم حضور المجتمعات العامة أو الكتابة في الصحف ومغادرة القاهرة إلي الريف ، لعدم إثارة الجماهير ولكنه رد علي الإنذار بأسلوب لم يعجبهم فقاموا يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٢١ باعتقال سعد باشا زغلول وبعض أصحابه وقامت مظاهرات الاحتجاج ، وتم نفي سعد زغلول إلي جزيرة سيشل في المحيط الهندي ، وتقع شمال شرق مدغشقر وجزيرة سيشل بالطبع تحت

الاحتلال البريطاني وتم نفي بعض أصحابه معه ومن بينهم مصطفي النحاس ومكرم عبيد ثم تم نقل سعد زغلول وحده إلي جبل طارق مراعاة لظروفه الصحية ، وعاد أعضاء الوفد لوحدتهم مرة أخري وانتهي الانقسام

قال حسين :

- وتصاعد العنف ضد الاحتلال البريطاني ، كما انتشرت دعوات المقاطعة وعدم التعاون مما أربك الاحتلال وكانت الدعوة لذلك من أعضاء الوفد وأثّرت تأثير بالغ علي الإنجليز ، وخلال شهر يناير ١٩٢٢ تعددت أعمال المقاومة المسلحة والاغتيالات ضد الإنجليز ومن والاهم

وهكذا استمر الأب عبد اللطيف أفندي حسين في سرد الأحداث التاريخية كل مساء ويحكي لأولاده ما شاهده وعايشه من مواقف وظلت الأم تقوم بدورها وتساعده في استخراج الأوراق المهمة من حافظة أوراقه كما استمرت في إنهاء الأمسية كلما زادت حدة التوتر والنقاش ، وكان الابن الأكبر حسين يوضح الكثير من المعلومات الدقيقة الموثقة ويستدعي من كتب التاريخ ما يناسب كل حدث ، كما استمر شريف علي عناده ومعارضته للسياسة وتهكمه منها وإصراره علي أن المقاومة المسلحة هي السبيل الوحيد للاستقلال

وفي إحدي هذه الأمسيات دار حديث مختلف بين الأب وأسرته حيث كان الكلام عن الزواج وليس السياسة فقد طلب حسين من والده أن يزوجه بشقيقة أحد زملاءه في العمل مما شجع شريف علي طلب الزواج هو أيضاً من إحدي قريباتهم وكان الأب نفسه يريد أن يزوج ابنته بابن أخيه

وأثناء الحديث الذي دار حول الزواج لم تترك ليلي الموضوع يمر دون إثارة فسألت والدها قائلة :

- احكي لنا يا أبي كيف كانت قصة زواجك من أمي ؟
- في ذلك الزمان يا ابنتي لم تكن المرأة في حاجة إلى أي مجهود لاجتذاب الرجل، فهو دائما مجذوب من تلقاء نفسه ، كان مجذوبا، يتلصص وراءها من ثقوب الأبواب ، ومن ثقوب البراقع ، ويقف ملطوعاً بالساعات في الشوارع على أمل أن يظهر ظلها من خلف شيش النافذة ، أو تظهر يدها وهي تمتد إلى القلة أو أصيص الزهر، كان مجذوباً ، لأنه لم يكن يعثر لها على أثر كان يعيش في عالم كله من الرجال ويعمل في عالم كله من الرجال ، وكانت المرأة شيء شحيح نادر لا يظهر في الطرقات ، ولا يظهر في المدارس ، ولا في المكاتب ، وإنما يختبئ في البيوت داخل عباءات وملاءات وجلاليب طويلة ، ولم يكن هناك طريق للوصول ، إليها سوى أن يتزوجها على سنة الله ورسوله صلي الله عليه وسلم ، بدون معاينة وبدون كلام كثير، ولم تكن المرأة في حاجة إلى ترويج بضاعتها لأنها كانت رائجة تتزاحم عليها المناكب ، ويأتيها الزواج حتى الباب

وقد وافق الأب بالطبع علي طلبات زواج أولاده وذهبت الأم لرؤية عرائسهم ، وتمت الخطبة والزواج

وتوالت الأفراح في العائلة وتضاعف عددها وسكن الجميع بزوجاتهم في منزل العائلة الفسيح

ولم تختلف الأمسيات عما كانت عليه وكل ما حدث أن الأمسية أصبحت تضم عدداً أكبر عن ذي قبل وأصبح الجلوس في مجلسين في فناء المنزل ، أحدهما للرجال ويتصدره الأب والآخر للنساء وتتصدره الأم وكانت المسافة بين المجلسين تسمح للجميع بالاستماع لما يقوله الأب بوضوح ، كما كانت الأم تنتقل أحياناً إلي مجلس الرجال لتساعد زوجها في استخراج بعض أوراقه ، أما ليلي فكانت تتحرك بالطبع بحرية بين المجلسين ، فهي حبيبة والدها وقرة عينه ولها حصانة خاصة لدي الجميع

وكان محمود ابن أخ عبد اللطيف أفندي من العاملين أيضاً في مصلحة السكك الحديدية فكان كثيراً ما يتحدث مع عمه عن أحوال العمل ولكنه كان قليل الكلام في الأحوال السياسية ولكن ليس عن جهل بها بل لأنه يفهم الأمور بعمق يجعله لا يتكلم في الأمور التي يعتبرها سطحية ولا طائل منها إلا للاستهلاك وتقضية الوقت فقط

كما كانت زوجة حسين وزوجة شريف لا تتدخلان في أي حوار عائلي خجلاً واحتراماً لوجود الأزواج ولكنهما كانتا كثيراً ما تتحدثان ولكن بصوت منخفض مع الأم وابنتها في شئون البيت وما يهم النساء من أمور ، وبعد فترة من الوقت قررت ليلي كعادتها أن تلقي حجراً في الماء الراكد فاستغلت جلوس العائلة كلها وخاطبت والدها وقالت :

- هل تمانع يا أبي في استكمال ما بدأناه من حديث عن تاريخ مصر أم أن وجود أعضاء جدد في العائلة قد حملك علي تغيير رأيك ؟
- بالعكس يا ابنتي ، فكل من في البيت أولادي وأحبتي ، فهل تتذكرين ما هو الحدث الذي توقفنا عنده ؟

فصاح سعد :

- أنا أتذكر يا أبي ، فقد كنا نتحدث عن تصاعد أعمال العنف ضد الإنجليز بعد نفي سعد باشا زغلول وصحبه

فقال حسين :

- نعم ، ثم انتشار دعوات مقاطعة الاحتلال وعدم التعاون معه ، مما أربك الاحتلال وكانت الدعوة لذلك من أعضاء الوفد وأثّرت تأثير بالغ علي الإنجليز ، وخلال شهر يناير ١٩٢٢ تعددت أعمال المقاومة المسلحة والاغتيالات ضد الإنجليز ومن والاهم

فقال الأب :

- هذا يشجعني علي الاستمرار في السرد ، لأنكم تتذكرون ما قصصته عليكم مما يدل علي الاهتمام بمعرفة ما حدث ، وعموماً عندما أدرك الإنجليز عدم جدوي المفاوضات قاموا بإعلان تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ من جانب واحد وفرضوا فيه ما رفضه المصريون في المفاوضات وهو وجود قاعدة عسكرية

بريطانية في مصر وإعلان الاستقلال وقيام حكومة دستورية في البلاد مع وجود مندوب لبريطانيا يتمتع بنفوذ خاص

قال حسين :

- **بالطبع لن يقبل أي مفاوض مصري بما جاء بهذا التصريح فاضطر الإنجليز لإعلانه من جانب واحد**

فقال سعد ببراءة :

- **فهل صدق المصريون أن هذا التصريح قد أعطي لمصر الاستقلال ؟**

فابتسم الأب وقال :

- **علي أي حال لقد تم وضع التصريح موضع التنفيذ وعمل علي تفعيله رئيس الوزراء عبد الخالق ثروت باشا الذي كان يرفض قبول الوزارة إلا بعد أن تم صدور هذا التصريح وقام السلطان فؤاد بإصدار أوامره للحكومة بإعداد الدستور وقانون للانتخابات لبدء حياة سياسية جديدة**

قال حسين :

- **ومنذ ذلك الحين أصبح السلطان فؤاد ملكاً علي البلاد بدل من لقب سلطان ، وأصبح لمصر وزير للخارجية بعد أن كانت شأن من شئون بريطانيا**

فقال شريف :

- **فلنتأمل معاً سبب تصريح فبراير ، هل المفاوضات أم المقاطعة أم المقاومة المسلحة والاغتيالات ؟ أما المفاوضات ، فلو استمرت مئات السنين مع لص مغتصب محتل أرضك فلن تصل إلي أي نتيجة سوي ما يريده عدوك القوي الذي يفرض نفسه فرضاً علي بلادك وينهب ثرواتها ويمتص دماء شعبها لصالح شعبه هو المُنعَّم الحر الذي يستمتع بالديمقراطية والحرية والحياة الدستورية علي حساب شعوب أخري مستعبدة ومحرومة من كل هذا ، وأما سلاح المقاطعة فهو سلاح فعال ولكنه يحتاج إلي وقت طويل وصبر لا تملكه كل الشعوب أما المقاومة المسلحة والعنف فهو السلاح الوحيد الذي يفهمه اللص المغتصب ولا يستطيع تجاهله أو تجاوزه**

قال حسين :

- **أتفق معك في أن المغتصب المحتل بطبعه شخص محب للحياة والرفاهية ويريد أن يستغل أرضك وشعبك كي ينعم بهذه الحياة ، فكيف تحرمه من حياته ، فلا شك أن المقاومة المسلحة للاحتلال تجعله يعيد حساباته ألف مرة ويتسائل عن سبب وجوده علي أرض ليست أرضه وحوله في كل مكان شعب يكرهه ويقتله أينما وجده ، فما الذي يستحق كل هذا ؟**

فقال شريف :

- **ومن هنا يفكر في محاولة إرضاء الشعب أو إن شئت فقل خداعه بتصريح من جانب واحد يؤكد فيه أنه أنعم عليك بالاستقلال ، ويُنعم عليك بدستور وحياة نيابية يمكنه أن يعبث بها في أي وقت كما حدث ورأيناه بواسطة سلطان أو ملك من صنعه وعميل له يتنعم معه علي حساب الشعب ، ولكن ليس كل فرد في الشعب يُمكن خداعه ، فهناك رجال في كل مكان تجري في عروقهم دماء الحرية والكرامة وليس من السهل أن تخدعهم أو تهرب من عقابهم بسبب جرائمك التي يعدونها عليك ولا تسقط بالتقادم ولا ينسونها أبدا**

قال حسين :

- **إن أهم ما يميز تصريح ٢٨ فبراير أن الإنجليز بخبث شديد قد حمَّلوا الحكومة المصرية مسئولية تأمين الجيش البريطاني والرعايا الأجانب بدلاً منهم ، أي جعلوا المصريين يواجهون بعضهم بعضاً وأصبح اللورد ألنبي يتهم رئيس الحكومة في ذلك الوقت عبد الخالق ثروت باشا اتهامات بالتقصير عند حدوث أي أعتداء**

قال الأب :

- **في الحقيقة لقد تعددت في ذلك الوقت حوادث اغتيال الموظفين البريطانيين ولم يُعرف الفاعلون في معظمها وتحرج لها موقف الوزارة ، ففي مارس ١٩٢٢ أطلق مجهولان الرصاص علي المستر مكنتوش بك مدير قسم القطارات بالسكك الحديدية بالقرب من منزله بالزيتون فأصيب بإصابات بليغة وفي مايو أطلق مجهول الرصاص علي البكباشي كيف مساعد حكمدار فرقة ب بشارع الفلكي فمات من جراء إصابته وبلغت هذه الحوادث سبعاً ولم تهتد الحكومة إلي الجناة فيها ، وأدي تكرار هذه الحوادث وعدم ظهور الفاعلين فيها إلي انزعاج الحكومة البريطانية فاحتجت رسمياً لدي الحكومة المصرية ، وأبلغ هذا الاحتجاج كتابة إلي ثروت باشا رئيس الوزراء في مايو سنة ١٩٢٢ عن يد اللورد اللنبي المندوب السامي البريطاني وقد جاء فيه : " إن عدم الاهتداء إلي مرتكبي تلك الجرائم وبقاءهم بعيداً عن طائلة القانون يدل أوضح الدلالة علي عدم كفاية التدابير التي اتُخذت لمنع وقوع تلك الاعتداءات ، وإن الحكومة البريطانية تجد نفسها تلقاء هذه الحالة مضطرة لأن تعتبر الحكومة المصرية مسئولة عن تعويض من يقع عليه اعتداء من الأجانب أو تعويض ورثته إن أدركته الوفاة ، كما أنها تحتفظ بحق تقدير كفاية التعويض الذي تمنحه الحكومة المصرية أو عدم كفايته"**

فقالت ليلي :

- **وكيف كان رد عبد الخالق ثروت باشا علي احتجاج المندوب السامي ؟**

- رد ثروت باشا علي هذا الاحتجاج بأن الحكومة المصرية أول من يأسف لوقوع تلك الاعتداءات التي تنكرها وينكرها الشعب المصري ، وأنها اتخذت التدابير الأدبية والمادية لمنع وقوعها وهي لا تتأخر عن التشديد علي جهات البوليس بمضاعفة اليقظة والانتباه مبالغة في العمل علي زيادة تأثير التدابير التي سبق اتخاذها ، وأما عن التعويض فمع أن الحكومة لا تري بأنها مسئولة بأكثر من توفير شرطة تقوم بأداء واجباتها قياماً حسناً ، إلا أن ما تعودته من حسن الضيافة نحو الأجانب يجعلها لا تتردد في أن تمنح براً منها وكرماً من وقع به أمثال هذه الاعتداءات السياسية ما تري أن الظروف تقضي به من التعويضات وأن الحكومة أظهرت استعدادها للجري علي هذه الخطة في أحوال سابقة وأنها ستظهر مثل هذا الاستعداد كلما رأت الظروف تدعو إلي ذلك

قال حسين :

- وفي الحق أن الرد صيغ في قالب مملوء حكمة وكرامة واتزاناً

قال سعد :

- فهل توقف حوادث الاعتداء بعد تشديد الحكومة من الإجراءات الأمنية ؟

قال الأب :

- لا ، لم تقف حوادث الاعتداء إثر هذا الاحتجاج والرد عليه ففي ٣ يوليه اكتشف مؤامرة لاغتيال المستر برت المفتش بالسكة الحديدية ، وفي ١٥ يوليه أطلق بعض الأشخاص الرصاص علي الكولونيل بيجوت الموظف بالمصلحة المالية التابعة للجيش البريطاني فاصيب بإصابات بليغة ، فأرسل اللورد أللنبي إلي ثروت باشا كتاباً في ٢٠ يوليه يبلغه فيه أن الحكومة البريطانية تنظر بقلق متزايد إلي الاعتداءات المتكررة التي لم يتوصل إلي معاقبة مرتكبيها وآخر مثل منها محاولة أغتيال الكولونيل بيجوت وان الحكومة المصرية يتعلق بها أن تتخذ إجراءات شديدة لاكتشاف الجناة ومعاقبتهم ، وأن تضع حداً قاطعاً لحملة الجرائم السياسية ، علي أنه كلف بأن يخبره بأنه إن لم يتم ذلك فإن الحكومة البريطانية ستعتبر أن المسألة ذات خطورة كبري
- فكيف كان الرد هذه المرة ؟
- رد عليه ثروت باشا بأن المندوب السامي لا يجهل أن الحكومة المصرية لم تقصر في اتخاذ تدابير خاصة في هذا الشأن وأخصها زيادة عدد القوات الأوروبية في البوليس لكي يتيسر له زيادة عدد دورياته

وإذا كانت هذه التدابير لم تؤد إلي منع وقوع تلك الجرائم وتعرف مرتكبيها فإن الحكومة المصرية أول من يأسف علي ذلك علي أنها ستثابر علي الخطة التي أبلغها في رده السابق وأنها عملاً بهذه الخطة

لن تألو جهداً في أن تزيد علي قدر المستطاع أشد التدابير المتخذة لمنع وقوع هذه الجرائم والبحث عن فاعليها وأنها تنوي أن تنشئ في وزارة الداخلية فرعاً خاصاً تحصر في يده التحقيقات الخاصة بالاعتداءات السياسية والإشراف علي الأبحاث المتعلقة بها

فسأل سعد بسذاجته المعهودة :

- فأين كان دور القصر من كل هذا ؟

فقال شريف قبل أن يتكلم والده :

- إن الملك فؤاد المتنعم في قصوره لم يقنع بما هو فيه بعد أن قام بحل كل مشاكله المادية وتزوج وأنجب وعاش حياة الملوك ، بل طمع في أكثر من ذلك كغيره من أحفاد محمد علي باشا ، فهو يريد أن يحكم حكم مطلق وساعده الاحتلال علي ذلك ، فالمحتل يسهل عليه تحقيق رغبات لص وعصابته ولكن من الصعب تحقيق إرادة شعب كامل ، لذلك عندما قام عرابي بالثورة العرابية وفرض علي الخديو توفيق برلمان ودستور رفض الإنجليز أن تكون الميزانية مع البرلمان وأرادوا أن تكون الميزانية مع توفيق بحجة واهية وهي ديون مصر التي تعرف إنجلترا جيداً أن البرلمان سيكون أحرص علي سدادها من الخديو نفسه ، ولكنها لا تريد سداد الديون بل تريد احتلال مصر وساعدها توفيق علي ذلك للقبض علي عرابي ونفيه ومحاكمة رجاله وتسريح جيشه وإنشاء جيش كل ضباطه وقادته تقريباً من الإنجليز

قال حسين :

- إن أكثر ما يلفت النظر في أعمال المقاومة والاغتيالات هو تولي الإنجليز وظائف دقيقة في مصر وأن وزارة عبد الخالق ثروت تشعر بأنها في وضع تحتاج فيه للدفاع عن نفسها وتعلن أسفها علي الضحايا الإنجليز بصدق ، فكيف كانت علاقة الملك فؤاد بعبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء يا أبي ؟
- الواقع أن المغفور له الملك فؤاد لم يكن يميل إلي بقاء ثروت باشا في الحكم بل لم يكن ميالاً في الأصل إلي إسناد الوزارة إليه ولكن ضغط الحوادث كان فوق إرادته فاحتمل ثروت باشا علي كره منه ، مضمراً انتهاز الفرص لإسقاطه ، هذا إلي أنه لم يكن يميل إيضاً إلي صدور الدستور ، أما عدم ميله إلي ثروت فلأنه كان ذا شخصية كبيرة لا تخضع في كل الأمور لما يطلب الملك ، وليس هذا هو الطراز الذي يرتضيه
- هل كان يؤثر الرؤساء والوزراء الذين لا شخصية ولا إراده لهم ؟
- أجل ، ولذلك كان يضمر إسقاط ثروت من اليوم الذي ألف فيه وزارته ، ولم يشفع له أنه كان له الفضل بحسن مسعاه في التعظيم من شأنه ، إذ صار صاحب الجلالة الملك بعد أن كان سلطاناً تحت الحماية البريطانية ، لم يكن لهذا الفضل أثر في نفسه بل كان له فيها أثر عكسي ، لأن من خصائص الملوك

الحاكمين بأمرهم أن يحقدوا علي من له فضل عليهم ، ومن ناحية أخري فقد كان ثروت باشا جاداً في وضع الدستور واستصدار المرسوم الملكي به وكان يستحث لجنة الدستور علي إنجازه حتي يصدر وهو لا يزال في الوزارة ، ولكن الملك فؤاد لم يكن يميل إلي إصداره ، لأنه رأه كما يقول يغل سلطته ويجعل الحكم مرجعه إلي الشعب وهذا ما لا يبغيه الملك

- **مع أنه قبل إعلان الاستقلال (بتصريح ٢٨فبراير١٩٢٢) لم يكن يملك سلطة ما ، بل كان سلطاناً تحت الحماية لا يصدر عنه إلا ما يأمره به عمال الحماية**
- **ولكن هكذا شأن الملوك الحاكمين بأمرهم ، يتناسون الحقائق إذا كان في ذكرها ما يتعارض مع أهوائهم ، ولا يفكرون إلا في الاستزادة من سلطتهم علي حساب سلطة الشعب**
- **كان لابد إذن للملك من تنحية ثروت عن الحكم ، لكي تغير مجري الأمور من بعده فيتعطل صدور الدستور وقد يقبر قبل أن يولد**
- **وجدير بالذكر أن عبد الخالق ثروت باشا هو أول من تولي رئاسة الوزارة بعد تصريح ٢٨ فبراير الذي صدر من بريطانيا من جانب واحد لإلغاء الحماية علي مصر وإقامة حكومة دستورية في البلاد مع وجود قاعدة عسكرية بريطانية بها ، وقد حاول ثروت باشا كما ذكرنا تفعيل هذا التصريح فيما يخص صدور الدستور ولكن من المعروف أن الدستور صدر سنة ١٩٢٣**

قال شريف :

- **وأخيراً تم عمل دستور للبلاد ، إنه دستور ١٩٢٣ الذي يُعتبر منحة من الملك للشعب بناء علي تصريح فبراير الذي كان منحة من الإنجليز أيضاً وتم عمل انتخابات للنواب لتشكيل الحكومة وقد فاز الوفد بالطبع بالأغلبية ، والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : كيف وافق الزعيم الشعبي سعد باشا زغلول علي الاشتراك في عملية انتخابية في ظل الاحتلال وطبقاً لشروط تصريحهم ودستور الملك فؤاد ؟ لأن هناك فرق كبير بين الدستور الذي انتزعه الشعب بالثورة العرابية في عهد الخديوي توفيق وبين دستور جاء بتعليمات من الملك تحت إشراف الاحتلال**

قال حسين

- **لقد اشترك سعد باشا وحزبه في الانتخابات وأصبح أول رئيس للوزراء بعد دستور ١٩٢٣ ولم يكن يعرف فيما يبدو أنها مسرحية سخيفة قام الاحتلال والقصر بتأليفها وإخراجها ، وأنه سيتم الإطاحة به وبحكومته مع أول مشكلة تحدث أو حتي يتم افتعالها ، وقام الملك فؤاد بإرسال خطاب يكلف فيه سعد زغلول باشا بتأليف الوزارة بناءاً علي حصول الوفد علي الأغلبية ، ولكنه حتي لم يُشر إلي هذه الحقيقة ، فهل لديك نص هذا الخطاب يا أبي ؟**

فقلَّب الأب في أوراقه حتي وجد ورقة من صحيفة بها نص الخطاب ثم قال :

- كتب الملك ما يلي : عزيزي سعد باشا ،،،، لما كانت أمالنا ورغائبنا متجهة دائماً نحو سعادة شعبنا العزيز ورفاهته وبما أن بلادنا تستقبل الآن عهداً جديداً من أسمي أمانينا أن تبلغ فيه ما نرجو لها من رفعة الشأن وسمو المكانة ولِما أنتم عليه من الصدق والولاء وما تحققناه فيكم من عظيم الخبرة والحكمة وسداد الرأي في تصريف الأمور وبما لنا فيكم من الثقة التامة قد اقتضت إرادتنا توجيه مسند رياسة مجلس وزرائنا مع رتبة الرياسة الجليلة لعهدتكم ، وأصدرنا أمرنا هذا لدولتكم للأخذ في تأليف هيئة الوزارة وعرض مشروع هذا التأليف علينا لصدور مرسومنا العالي به ، ونسأل الله جلت قدرته أن يجعل التوفيق رائدنا فيما يعود علي بلادنا بالخير والسعادة إنه سميع مجيب ،، صدر بسراي عابدين في ٢٢ جمادي الثانية سنة ١٣٤٢ (٢٨يناير سنة ١٩٢٤) ، وكما تري فإن هذا الخطاب لم ترد فيه أي إشارة لفوز سعد باشا بالأغلبية وأن تعيينه قد تم بناء علي إرادة الملك

قال حسين :

- واضح من الخطاب أنه اقتصر علي العبارات التقليدية التي تُكتب لمن يختاره ولي الأمر لتأليف الوزارة ولعل الملك أراد بهذا الإغفال المتعمد أن لا يعترف بالأساس الدستوري لقيام الوزارات وسقوطها ولا يعترف بسلطة الأمة وبحقها في اختيار حكامها
- ولكن سعد باشا قد أكمل هذا النقص في جوابه إلي الملك ، إذ جعل أول سبب لولايته الحكم احترامه إرادة الأمة وارتكاز الحكومة علي ثقة وكلائها ، وإليك بعض مما جاء في جواب سعد باشا زغلول إلي الملك فؤاد رداً علي جواب تكليفه بتأليف الوزارة : ،،، مولاي صاحب الجلالة ،،، إن الرعاية السامية التي قابلت بها جلالتكم ثقة الأمة ونوابها بشخصي الضعيف توجب عليّ والبلاد داخلة في نظام نيابي يقضي باحترام إرادتها وارتكاز حكومتها علي ثقة وكلائها ألا أتنحي عن مسئولية الحكم التي طالما تهيبتها في ظروف أخري وأن أشكل الوزارة التي شاءت جلالتكم تكليفي بتشكيلها من غير أن يعتبر قبولي لتحمل أعبائها اعترافاً بأية حالة أو حق استنكره الوفد المصري الذي لا أزال متشرفاً برياسته ، إن الانتخابات لأعضاء مجلس النواب أظهرت بكل جلاء إجماع الأمة علي تمسكها بمبادئ الوفد التي ترمي إلي ضرورة تمتع البلاد بحقها الطبيعي في الاستقلال الحقيقي لمصر والسودان مع احترام المصالح الأجنبية التي لا تتعارض مع هذا الاستقلال كما أظهرت شدة ميلها للعفو عن المحكوم عليهم سياسياً ونفورها من كثير من التعهدات والقوانين التي صدرت بعد إيقاف الجمعية التشريعية ونقصت من حقوق البلاد وحدت من حرية أفرادها وشكواها من سوء التصرفات المالية والإدارية ومن عدم الاهتمام بتعميم التعليم وحفظ الأمن وتحسين الأحوال الصحية والاقتصادية وغير ذلك من وسائل التقدم والعمران ، فكان حقاً علي الوزارة التي هي وليدة

تلك الانتخابات وعهداً مسئولاً منها أن توجه عنايتها إلي هذه المسائل الأهم فالمهم منها – ولقد لبثت الأمة زماناً طويلاً وهي تنظر إلي الحكومة نظر الطير للصائد لا الجيش للقائد ، وتري فيها خصماً قديراً يدبر الكيد لها لا وكيلاً أميناً يسعي لخيرها ، وتولد عن هذا الشعور سوء تفاهم أثر تأثيراً سيئاً في إدارة البلاد وعاق كثيراً من تقدمها ، فكان علي الوزارة الجديدة أن تعمل علي استبدال سوء هذا الظن بحسن الثقة في الحكومة ، وعلي إقناع الكافة بأنها ليست إلا قسماً من الأمة تخصص لقيادتها والدفاع عنها وتدبير شئونها بحسب ما يقتضيه صالحها العام ، –هذا هو بروجرام وزارتي وضعته طبقاً لما أراه وتريده الأمة –فأرجو إذا صادف استحسان جلالتكم أن يصدر المرسوم السامي بتشكيل الوزراة علي الوجه الآتي مع تقليدي وزارة الداخلية : محمد سعيد باشا لوزارة المعارف العمومية ، محمد توفيق نسيم باشا لوزارة المالية ، أحمد مظلوم باشا لوزارة الأوقاف ،،،، وأدعو الله أن يطيل في أيامكم ويمد في ظلالكم حتي تنال البلاد في عهدكم كل ما تتمناه من التقدم والارتقاء وإني علي الدوام شاكر نعمتكم وخادم سدتكم ، ، سعد زغلول

- إن أكثر ما يلفت النظر في كتاب سعد باشا هو مقولته الشهيرة (ولقد لبثت الأمة زماناً طويلاً وهي تنظر إلي الحكومة نظر الطير للصائد لا الجيش للقائد) ، ولعله بالفعل قد صحح للملك مفهومه عن تكليف زعيم الأغلبية بتشكيل الوزارة لأنه اختيار الشعب وليس اختيار الملك ، وعلي أي حال فإن بقبول سعد باشا الاشتراك في الانتخابات ثم قبوله الوزارة قد أصبح مسئول عن تأمين البلاد في ظل الاحتلال البريطاني وعندما فشل في ذلك تمت الإطاحة به ، ولم تتم الإطاحة به بانتخابات أخري كما يحدث في بريطانيا والدول التي تنعم بهذا النوع من الحكم الدستوري ، بل تم استغلال حادث مقتل السير لي ستاك في خروجه من الحكم

قالت ليلي :

- فما أهم ما وقع من أحداث بين سعد باشا زغلول والملك فؤاد بعد توليه الوزارة ؟

قال الأب :

- إن ما حدث بينهما يؤكد أن فهم كل منهما للدستور يختلف عن الآخر ، فلقد حدث أن سعد باشا زغلول والملك فؤاد قررا يوماً أن يحتكما لبارون بلجيكي عندما اختلفا في تفسير أحد مواد الدستور ، وهذا الموقف رواه البارون البلجيكي فيرمين فان دن بوش حيث كان يشغل منصب النائب العام في المحاكم المختلطة في مصر ، وقد تدخل لحل النزاع الذي نشب بين الملك والوزارة بشأن تفسير مادة في الدستور
- ولماذا تم اختيار هذا الشخص تحديداً ليحتكموا إليه ؟
- لأن هذا الدستور مستمداً في كثير من نصوصه من الدستور البلجيكي
- فماذا قال البارون البلجيكي في روايته عن هذا الموقف ؟

- لقد قال : في يوم سبت من شهر أبريل سنة ١٩٢٤ والوقت ظهر وأنا في مكتبي فإذا بالقاهرة تدق التليفون المتحدث هو سعد باشا زغلول رئيس الوزراء يطلب مني أن أزوره في مكتبه غداً في الساعة الرابعة بعد الظهر فاعترضت بأنني رتبت أموري علي السفر للعاصمة يوم الخميس – – فيكون جوابه لا يمكن إن الأمر عاجل وهام ، وأدركت من نبرة صوته أن الأمر خطير ، ويدق تليفون القاهرة بعد عشر دقائق مرة أخري ، إنه نشأت باشا الرجل الذي يعتمد عليه الملك فؤاد يسألني إذا كان الاتفاق قد تم علي الوفاء بالموعد الذي حدده رئيس الوزراء ويضيف هو الآخر : لا غني عن حضورك في غد ، وفي يوم الأحد أسافر للقاهرة بقطار الصباح وحين أبلغ محطة بنها إذا بمواطني المحامي جورج موزياخ يدخل مقصورتي دخول عاصفة هوجاء ، إنه جاء بالسيارة ليدركني قبل الوصول ليحذرني بما علمه من أحد الوزراء من أنني دُعيت من أجل تسوية نزاع دستوري خطير بين الملك فؤاد وسعد باشا زغلول وأن الحل الذي سيسفر عنه هذا النزاع سيتوقف عليه مصير الحكومة وأمن البلاد . فأبديت له وجهاً يزعم أن الأمر لا يهولني ولكني أدرك في قرارة نفسي ما لهذا الأمر من خطورة بالغة نظراً لعلمي بخلق الرجلين المتنازعين
- إنه موقف مشوق جداً فماذا حدث بعد ذلك ؟
- يُكمل البارون حكايته فيقول : في الساعة الرابعة أصل إلي رياسة الوزراء . الحديقة غاصة بوفود ترفرف عليها الأعلام – وترتفع منها هتافات مجنونة : (يحيا سعد) ، حجرة الانتظار مزدحمة بالزوار ولكن السكرتير لم يكد يراني حتي يهرول نحوي ويدخلني إلي مكتب الرئيس . سعد زغلول جالس وراء مكتبه ناصباً قامته ويمد لي يده ويقول : مرحباً بك إننا في حاجة إليك ، ثم يمضي من فوره يشرح لي النزاع الذي نشب بين الملك والوزارة بشأن تفسير مادة في الدستور ، وإذ كان هذا الدستور مستمداً في كثير من نصوصه من الدستور البلجيكي فقد دعيت للإدلاء بالرأي في هذا النزاع ، فالمادة ٧٤ من الدستور المصري تنص علي أن الملك يُعين خُمس أعضاء مجلس الشيوخ بلا حاجة إلي انتخابه فهل هذا النص يمنح الملك حقاً مرتبطاً بشخصه وحده له أن يباشره دون دخل من وزرائه أم أن هذا الحق مرتبط بالقاعدة العامة المنصوص عليها في المادة ٤٨ التي تُقرر أن الملك يباشر سلطاته عن طريق وزرائه ؟ ويختم رئيس الوزراء حديثه وهو يدق بيد عنيفة علي مكتبه : هذه هي المسألة وينبغي أن تُحل في ٢٤ ساعة
- فماذا كان رد فعل البارون ؟
- يقول : أبدأ بالتراجع وراء العذر بأن مواد الدستور ليست حاضرة كلها في ذهني وأطلب أن أراجعها وأن يتاح لي الوقت للتدبر – – ، ما أعجب أن تجد في رجل بلغ السبعين وأضناه النفي والمرض مثل هذا التوقد الذهني المدهش ، بل الأعجب أن تجد فيه مثل هذه الإرادة القوية الطاغية ، ولا ينقطع هتاف الوفود مطالبة أن يُطل عليهم ، يذهب مرة وأخري وثالثة إلي الشرفة ويشكرهم بلطف وإيجاز ، لم يرهقه الإلحاح ويفقده

ضبط أعصابه فتقوس قامته علي الشرفة ويصرخ بلهجة آمرة : طيب ، طيب ، دعوني أعمل بهدوء من أجلكم ، ثم يُغلق الشرفة بحركة خاطفة وتنتهي الزيارة ، يقول الباشا لي : إلي غد في الساعة العاشرة بقصر عابدين

- إن وصف البارون لما حدث وصف رائع وكأنه أديب يكتب رواية مثيرة
- بالفعل إنه كذلك ، حيث يقول : تحل عتمة المساء وأشق بصعوبة طريقي وسط حشود المتظاهرين في بحر من أثواب متعددة الألوان . الأعلام ترفرف كأجنحة الطير المذعور ، الأيدي كلها مضمومة مرتفعة فوق الرؤوس وهدير صاخب يؤم هذا الشيخ العظيم ، إنه واقف في الشرفة العالية في غمرة الضوء ذراعاه المفتوحتان كأنما زاد طولهما ليضم بحنان إلي صدره العريض هذا الخلق جميعاً ، وحين دخلت في صباح الغد علي الملك في مكتبه وجدته بادي الاضطراب يعالج قلقه بلعب يده بقاطع للورق ، وزغلول باشا قباله مسيطر كل السيطرة علي نفسه يتكلم ببطء هادئ ودار النقاش بينهما أمامي فأدركت من فوري أهمية النزاع وخطورة نتائجه ، ففي جانب ملك نشأ في أحضان التقاليد الشرقية التي تسند السلطة إلي شخصه ، وهو اليوم يحاول أن يستبقي لنفسه آخر رمق فيها ، وفي جانب رئيس الوزراء معتد كل الاعتداد بالحقوق التي منحها له الدستور ، الكلام بينهما مهذب ولكني أحسست تحته خصومة تتهيأ للانفجار المؤدي إلي كارثة ، وأنه ينبغي فضها بغير تمهل وفي أثناء الجلسة حين اشتدت حدة النقاش نطق زغلول باشا بهذه الكلمات (لو أننا استشرنا الشعب - - - - -) وقلت في سري (كلمة واحدة من فم هذا الرجل السياسي الذي يملك في يده مصر كلها أرواحها وأجسادها فإذا صورة هذه الحياة الوديعة خالية البال تنقلب إلي مشهد مخيف لغضب الشعب) ، وارتفع صوت زغلول وقال : هل تقبل جلالتكم أن يفصل النائب العام في النزاع وأن يكون قراره حاسماً ؟ فكر الملك برهة قصيرة ثم خضع وقال : (فليكن) – استاذنت أن أخلو بنفسي قليلاً فقادني أحد الأمناء إلي صالون يطل علي حدائق القصر ، في هذا الإطار الفريد خلوت إلي نفسي أفكر وكتبت علي عجل بضعة أسطر ولما عدت إلي الرجلين وجدتهما في عين الوضع الذي كنت تركتهما فيه ، أحسست بالتأثر يغلبني بشدة وأنا أقرأ عليهما التصريح التالي : (- - - إعفاء الملك من المسئولية هو أساس هذا الدستور ، فليس له أن يباشر سلطاته إلا عن طريق وزرائه ، وهذا المبدأ لا يقبل في نظر القانون أي استثناء ويسري علي كل أعمال الملك فإذا ابحنا فيها له استثناء واحداً نكون قد هدمنا الدستور من أساسه ولذلك أري أن تعيين أعضاء مجلس الشيوخ ينبغي أن يصدر من الملك بناء علي عرض من مجلس الوزراء

قال حسين :

- أكثر ما يُلفت النظر فيما كتبه البارون البلجيكي هو وصفه لمكانة سعد زغلول لدي الشعب كزعيم وطني محبوب ، وكذلك وصفه لحرص الملك علي الانفراد بالسلطة وندمه علي منح الدستور للشعب

قال شريف :

- **ولكن من حظ الملك أن وقع حادث أطاح بسعد باشا ووزارته بل وبالبرلمان والحياة الدستورية كما تم سحب الجيش المصري من السودان وكذلك الموظفين المصريين وغير ذلك مما لا يعجب السياسيين الوطنيين في مصر بل والشعب المصري بشكل عام ، وهذا الحادث الذي تسبب في كل هذا هو مقتل قائد بريطاني شهير**

قال حسين موضحاً لليلي المندهشة :

- **الحادث هو مقتل السير لي ستاك باشا Lee Stack (1868-1924) سردار الجيش المصري وحاكم السودان العام المقيم بالزمالك**

فسألت ليلي والدها قائلة :

- **فهل لديك يا أبي معلومات عن هذا الحادث ؟**

قال الأب :

- **بالطبع يا ابنتي ، فقد كان حديث مصر كلها لفترة طويلة ، فالذي حدث أنه في نحو الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ بينما كان السردار عائداً في سيارته من مكتبه بوزارة الحربية إلي داره بالزمالك ، أطلق عليه الرصاص خمسة أشخاص كانوا متربصين في سيارة ، فأصيب السردار إصابات خطرة ، وقد توفي متأثراً من جراحه يوم ٢٠ نوفمبر حوالي منتصف الليل ، وشيعت جنازة السردار باحتفال مهيب في صباح السبت ٢٢ نوفمبر ، وفي الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم ذهب اللورد أللنبي المندوب السامي البريطاني إلي رئاسة مجلس الوزراء في مظاهرة عسكرية يتقدمه مائتان وخمسون جندياً بريطانياً من حملة الرماح ، ويتبعه مثل هذا العدد ، وقابل سعد باشا في مكتبه مقابلة جافة ، وقدم إليه بلاغين (إنذارين) محررين باللغة الإنجليزية بعد أن تلا عليه نصهما**
- **فماذا كان محتوي الإنذار ؟**
- **كان مما جاء فيه ما يلي : --إلي حضرة صاحب الدولة سعد زغلول باشا رئيس مجلس الوزراء ، يا صاحب الدولة ، أقدم لدولتكم من قبل حكومة حضرة صاحب الجلالة البريطانية البلاغ التالي : أن الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصري الذي كان أيضاً ضابطاً ممتازاً في الجيش البريطاني قد قُتِل قتلاً فظيعاً في القاهرة -فبناء علي ذلك تطلب حكومة صاحب الجلالة من الحكومة المصرية : ١ - أن تقدم اعتذاراً كافياً وافياً عن الجناية٢ - أن تتابع بأعظم نشاط وبدون مراعاة للأشخاص البحث عن الجناة وأن تنزل بالمجرمين أياً كانوا ومهما تكن سنهم أشد العقوبات ، ٣ - أن تمنع من الآن فصاعداً وتقمع بشدة كل مظاهرة شعبية سياسية ، ٤ - أن تدفع في الحال إلي حكومة حضرة صاحب الجلالة غرامة قدرها**

نصف مليون جنيه ، ٥ – أن تصدر خلال أربع وعشرين ساعة الأوامر بإرجاع جميع الضباط المصريين ووحدات الجيش المصري البحتة من السودان – –٦ – وإذا لم تلب هذه المطالب في الحال تتخذ حكومة حضرة صاحب الجلالة علي الفور التدابير المناسبة لصيانة مصالحها في مصر والسودان

قال شريف :

- **بالطبع يقصد هنا بصاحب الجلالة ملك بريطانيا وليس ملك مصر**

فقالت ليلي :

- **فماذا حدث بعد ذلك ؟**

قال الأب :

- **في اليوم التالي ٢٣ نوفمبر ذهب واصف بطرس غالي باشا وزير الخارجية إلي دار المندوب السامي البريطاني وقدم رد الحكومة علي هذين الإنذارين ويتلخص في نفي المسئولية عن الحكومة المصرية وقبول المطالب الأربعة الأولي**
- **فهل تم قبول الرد ؟**
- **بالطبع لا ، لم يُرض هذا الرد المندوب السامي وحكومته فاتخذ عدة تدابير سيئة وكان أول تدبير اتخذه هو صدور التعليمات إلي الجنود البريطانيين باحتلال جمارك الإسكندرية ، وكان مفهوماً من المراسلات التي تبودلت بين اللورد أللنبي وسعد باشا أن الحكومة البريطانية لا تريد بقاء سعد باشا في الوزارة بعد مقتل السردار وأنها اعتبرت وزارته مسئولة عن الحادث ، فعرض سعد باشا علي الملك استقالة الوزارة ، وتم قبول الاستقالة يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٤**

قال حسين :

- **إن نظرة فاحصة إلي البلاغات البريطانية في حادث مقتل السردار يتبين منها مبلغ الظلم والعسف الذي بدا من الجانب البريطاني إثر هذا الحادث ، فإن الاعتداء علي السردار كان ولا شك حادثاُ فردياً فمن الظلم أن تحمل الحكومة والبلاد مسئوليته ، ومن أفظع مظاهر الظلم أن ترتب عليه الحكومة البريطانية إقصاء الجيش المصري عن السودان وإطلاق يد الإدارة الإنجليزية فيه**

فقال شريف :

- **إن البلاغات الجائرة والمطالب الظالمة التي توجهت بها إنجلترا إلي مصر في أعقاب حادثة السردار لم تكن إلا مظهراً لسياسة العدوان التي درجت عليها بإزاء مصر من قبل ومن بعد وهي منطق القوة الغشوم في**

الاعتداء علي الحق ، وما كانت حادثة السردار إلا فرصة سنحت فاتخذتها ذريعة لتحقيق أغراضها وبعبارة أخري كانت هذه المطالب برنامجاً سابقاً لإنجلترا حيال مصر ، تلك حقيقة دلت عليها الحوادث المترادفة

قال حسين :

- **هذا صحبح فقد أيد هذا الكلام الكاتب الفرنسي موريس برنو في كتابه (قلق الشرق–أو علي طريق الهند) الذي ظهر في منتصف سنة ١٩٢٧ ، فقد ذكر صفحة ٢٥ ، أنه قابل اللورد أللنبي بعد مقتل السردار وسأله عن وجهة نظره ، فأجابه في صراحة : إن كل ما حدث كان متوقعاً وقد كان البلاغ النهائي في درج مكتبي قبل أن يُقتل السردار بوقت طويل ، ولكني غيرت فقط صيغته التي جعلتها أكثر شدة**

قالت ليلي :

- **فماذا كان موقف البرلمان المنتخب من كل هذا ولن أسأل عن موقف الملك فهو لم يعد غامض بالنسبة لي ؟**

قال الأب :

- **اجتمع مجلس النواب والشيوخ في جو مضطرب مكفهر ، وقرر بالإجماع الاحتجاج علي تصرف الحكومة البريطانية ، فلذلك يعلن مجلس النواب المصري علي ملأ العالم شديد احتجاجه علي هذه التصرفات الجائرة الباطلة ، ويشهد الأمم المتمدينة علي فداحة تلك المطامع الاستعمارية التي لا تتفق مع روح هذا العصر وحقوق الأمم المقدسة ، ويبلغ احتجاجه إلي برلمانات العالم ويرفع الأمر إلي مجلس عصبة الأمم طالباً إليه التدخل في الأمر لرفع الحيف عن أمة بريئة تتمسك بحقوقها المقدسة في الحياة والحرية ولا تبغي عن استقلالها بديلاً**

فقال شريف :

- **ولم تبد بالطبع أية دولة عطفاً ما علي مصر في محنتها بل إن معظمها أيد الحكومة البريطانية في مطالبها ، فاستقلال الدول الشرقية جريمة في نظر أولئك الاستعماريين الذين لا يريدون للشرق إلا أن يكون حقلاً لاستعمارهم وبغيهم ، ويخشون من نزعاته الاستقلالية ويرونها خطراً علي مطامعهم فما أشد ما في هذه السياسة من ظلم وبغي وعدوان**

قال الأب :

- **تألفت الوزارة الجديدة برئاسة أحمد زيور باشا، في نفس اليوم الذي قُبلت فيه استقالة سعد باشا وكأن الأمر مبيتاُ من قبل ، ولقد سلمت وزارته ببقية المطالب البريطانية التي وردت في إنذار ٢٢ نوفمبر ، فكان لهذا**

التسليم الشائن وقع أليم في أرجاء البلاد ، واستصدرت وزارة زيور في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ مرسوماً بتأجيل انعقاد البرلمان شهراً وكان هذا التأجيل نذيراً بما سيعقبه من حل مجلس النواب

قالت ليلي :

- **إذن فقد استغل الاحتلال البريطاني هذا الحادث الفردي لتحقيق ما كان يهدف إليه**

قال شريف :

- **ليس هذا فحسب بل إن هذا الحادث قد أدي إلي حل البرلمان وتغيير الوزارة وفقاً لهوي الملك وهي وزارة زيور باشا الذي أجل عقد البرلمان ثم حله ، وهذه الإجراءات تُعد انقلاب علي الحياة الدستورية ، وهو ما أدي إلي تكررها بعد ذلك فأصبحت الحياة الدستورية في مصر تحت رحمة الملك والاحتلال يعبثون بها كما يشاءون فتارة يقف الاحتلال مع الوفد ضد الملك وتارة أخري يقف مع الملك ضد الوفد وأصبحت مسألة حل البرلمانات المنتخبة لعبة في أيديهم ، فلم تتمكن مصر من تجربة حياة دستورية حقيقية في ظل الاحتلال البريطاني وملك من سلالة محمد علي وقادة سياسيون انفصلوا عن قوميتهم الحقيقية وبحثوا عن هوية أخري مثل أحمد زيور باشا عدو الدستور**

قال حسين :

- **إن هذا الرجل كان مستعد دائماً لتولي الوزارة وحل البرلمان وتنفيذ رغبات الإنجليز والقصر ، إنه البديل الجاهز لأي إنقلاب علي الدستور ، فكل ما عليك هو أن تطيح بالحكومة الشرعية المنتخبة وتأتي بزيور باشا وسيتكفل بالباقي فهو لا يرفض أي طلب أبداً للبرنيطة علي حد تعبير الشيخ عبد العزيز البشري عندما كتب عنه في مقاله الأسبوعي في جريدة السياسة الأسبوعية بعنوان في المرآة ، وزيور باشا بدين إلي حد ما وهذا لا يعيبه بالطبع كإنسان ولكن الذي يعيبه هو التعاون مع الملك فؤاد والإنجليز ضد الديمقراطية**

قالت ليلي :

- **فهل احتفظت بنسخة من الجريدة التي تضمنت مقال الشيخ عبد العزيز البشري عن زيور باشا ؟**
- **بالتأكيد فقد كان ذلك العدد يتضمن الكثير من الموضوعات المهمة**

وأحضر حسين الجريدة وبحث عن المقال ثم قال :

- **كتب الشيخ عبد العزيز البشري عن زيور باشا ما يلي : أما شكله الخارجي وأوضاعه الهندسية ورسم قطاعاته ومساقطه الأفقية فذلك كله يحتاج في وصفه وضبط مساحاته إلي فن دقيق وهندسة بارعة ، والواقع أن زيور باشا رجل –إذا صح هذا التعبير– يمتاز عن سائر الناس في كل شئ ، ولست أعني بامتيازه في شكله المهول طوله ولا عرضه ولا بعد مداه ، فإن في الناس من هم أبدن منه وأبعد طولاً وأوفر**

لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكلاً واحداً ، أما صاحبنا فإذا اطلعت عليه أدركت لأول وهلة أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدري كيف اتصلت ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، وإنك لتري بينها الثابت وبينها المختلج ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره وفيها المتيبس المتحجر وفيها المسترخي المترهل ، وإنك لتجد ناساً يصفون زيور بالدهاء وسعة الحيلة بينما تري آخرين ينعتونه بالبساطة وقد يتدلون به إلي حد الغفلة ، كما تجد خلقاً يتحدثون بارتفاع خلقه وتنزهه عن النقائص ، إذ غيرهم ينحطون به إلي ما لا تجاوره مكرمة ، ولا يسكن إليه خلق محمود ، كذلك زيور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة ، وإذا كان هذا مما لا يمكن في الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد فقد غلط الناس إذ حسبوا زيور رجلاً واحداً ، فإذا أدهشك التباين في أخلاقه فذلك أن هذا الجرم العظيم مؤلف في الحقيقة من عدة مناطق لكل منها شكله وطبعه وتصوره وحظه من التربية والتهذيب ، والظاهر أن زيور باشا برغم حرصه علي كل هذه الممتلكات الواسعة عاجز تمام العجز عن إدارتها وتوليها بالمراقبة والإشراف ، وما دامت الإدارة المركزيه فيه قد فشلت كل هذا الفشل ، فأحري به أن يبادر فيعلن إعطاء كل منها الحكم الذاتي علي أن تعمل مستقلة بنفسها علي التدرج في سبيل الرقي والكمال ، تلك بعض آثار هؤلاء الذين يدعونهم زيور باشا فإذا تمثلوا شخصاً وبدوا للعيون رجلاً واحداً فذلك مصداق قول أبي نواس : ليس علي الله بمستكثر أن يجمع العالم في واحد ، وإن أهل مصر ليأخذون زيور باشا كله بما لا يُحصي من الجرائم علي القضية الوطنية ، وإنهم ليعُدُّون عليه سفهه في أموال الدولة واستهتاره بمصالحها ، وإنهم ليحسبون عليه إيثاره الأهل والأقربين والأصحاب والمحبين وذوي أرحامهم بمناصب الدولة ومنافعها ، وقد يكون لمجلس النواب مع هؤلاء الرجل شأن إذا أقبل يوم الحساب ، وإن ظلماً أن يؤخذ البرئ بجريرة الآثم ، فقد يكون الذي اقترف كل هذه الآثام كوع زيور باشا الأيسر ، أو القسم الأسفل من لغده أو المنطقة الوسطي من فخذه اليمني ، أو غيرها من تلك الكائنات التي تجمعت في هيكله العظيم ، إن الحق والعدل ليقضيان أن يؤلف مجلس النواب إن شاء الله لجنة تقوم بعمل التحقيق في جسم صاحب الدولة فتسأل أعضاءه عضواً عضواً وتحقق مع أشلائه شلواً شلواً حتي يفرق منها بين المحسن والمسئ ، ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته من كل ما أُرتكب من الآثام هو مخ زيور باشا ، فما أحسبه شارك ولا دخل في شئ من كل ما حصل ، وفي –زيور باشا– صفة جامعة هي شدة احترامه للبرنيطة وعمله علي إرضائها بكل الوسائل فما عُرِف أن زيور رد في حياته طلباً لبرنيطة مهما كان حاملها في الناس

كان حسين يقرأ المقال والجميع يضحك من الأسلوب الساخر الممتع

وبعد أن هدأت موجة الضحك ، طلبت ليلي من والدها استكمال القصة فقال :

- علي أي حال ، تمت الدعوة لانتخاب مجلس نواب جديد ، وزعمت الحكومة أن نتيجة الانتخابات لم تسفر عن أغلبية وفدية ، والطريف أن هذا البرلمان قد تم حله في نفس يوم انعقاده بعد تسع ساعات فقط ، وكان زيور باشا بالطبع أحد أسباب ذلك
- يبدو أن القصة تزداد إثارة وتشويقاً ، فكيف تم ذلك ؟
- افتُتِح البرلمان بمجلسيه في هيئة مؤتمر صبيحة يوم الاثنين ٢٣ مارس سنة ١٩٢٥ برئاسة محمد توفيق نسيم باشا رئيس مجلس الشيوخ وحضر الملك فؤاد جلسة الافتتاح وتلا زيور باشا خطاب العرش ثم انفض المؤتمر ، واجتمع مجلس النواب في نحو الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وبدأ في انتخاب رئيسه ، فظهر من نتيجة الانتخاب أن أغلبية النواب من الوفديين إذ كان التنافس علي الرآسة بين سعد باشا زغلول وعبد الخالق ثروت باشا ، فنال سعد باشا ١٢٣ صوتاً ونال ثروت باشا ٨٥ صوتاً فقط فظهرت بذلك النتيجة التي لا شك فيها في الانتخابات العامة لمجلس النواب الجديد ، وأنها أسفرت عن أغلبية وفدية
- خلافاً لما زعمته الحكومة في بلاغها ؟
- أجل ، وظهر أن الوزارة لا تحوز ثقة المجلس الجديد ، فكانت هذه النتيجة صدمة شديدة للوزارة ، وتأجل اجتماع المجلس إلي الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم لمتابعة أعماله وأولها انتخاب وكيلي المجلس والسكرتيرين والمراقبين "أعضاء مكتب المجلس"، ولو اتبعت أحكام الدستور وكان الغرض من حل مجلس النواب الأول هو الرجوع إلي الأمة لكان واجباً علي الوزارة أن تستقيل ، وقد أعدت استقالتها فعلاً عقب انتخاب سعد لرآسة المجلس ولكن كان الأمر مبيتاً علي أن تكون الاستقالة صورية وأن تكون اتهاماً للأغلبية وأن لا يقبل الملك هذه الاستقالة ، فرفع زيور باشا كتاب الاستقالة إلي الملك ، ومما جاء فيه قوله :
- "بمجرد انعقاد المجلس وقبل بحث برنامج الوزارة الذي تضمنه خطاب العرش ظهرت في المجلس روح عدائية علي الإصرار علي تلك السياسة التي كانت سبباً لتلك النكبات التي لم تنته البلاد من معالجتها وقد بدت تلك الروح جلية في أن المجلس اختار لرياسته زعيم تلك السياسة والمسئول الأول عنها" ، والسياسة التي أشار إليها زيور في هذا الكتاب هي سياسة البرلمان الأول التي أغضبت الحكومة البريطانية إذ رفض مطالبها الجائرة ، لم يقبل الملك استقالة الوزارة وجدد ثقته فيها علي الرغم من خذلان مجلس النواب الجديد لها ، فرفع زيور إلي الملك كتاباً آخر عرض فيه حل هذا المجلس فأصدر الملك علي الفور مرسوماً بحله
- فهل عرف المجلس بمرسوم حله في حينه ؟
- لا بل استأنف المجلس اجتماعه في الساعة الخامسة من مساء هذا اليوم ورأس الجلسة سعد باشا ، وأخذ الأعضاء في انتخاب الوكيلين ، وفيما كانت الأوراق تُفرز دخل زيور باشا ومعه الوزراء وخاطب الأعضاء

قائلاً : أتشرف بإخبار المجلس أن الوزارة رفعت استقالتها إلي جلالة الملك فأبي قبولها ، فأشارت الوزارة علي جلالته بحل المجلس فأصدر المرسوم الآتي نصه وتلاه وهو يقضي بحل المجلس وبدعوة المندوبين لإجراء انتخابات جديدة في ٢٣ مايو سنة ١٩٢٥ وأن مجلس النواب الجديد سيجتمع أول يونيه ، كانت تلاوة مرسوم الحل قبيل الساعة الثامنة مساءاً ، فلم يعش ذلك المجلس سوي تسع ساعات ، لأنه انعقد في الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وحل في الثامنة مساءاً فكان أقصر المجالس النيابية عمراً

قال حسين :

- **قوبل حل مجلس النواب بالدهشة والألم لأنه كان مفهوماً أن يبقي وتستقيل الوزارة ، وكان هناك طرائق كثيرة لمعالجة هذه الأزمة بأن تؤلف وزارة جديدة من حزب الأغلبية أو موالية لها وتنال ثقة المجلس وتسير الأمور طبقاً لأحكام الدستور ولكن العناد الذي يشبه عناد الأطفال جعل الوزارة باتفاقها مع السراي والإنجليز تستصدر المرسوم بحل مجلس النواب ، منتهكة بذلك حرمة الدستور وإرادة الأمة**

قال شريف :

- **بالطبع كان الباعث علي هذا الذي وقع هو تعلق بضعة نفر من الوصوليين بكراسي الوزارة فحسب ورغبتهم الجامحة في ألا تفلت هذه الكراسي من أيديهم ، وصار الحكم منذ تأليف وزارة زيور باشا حكماً غير دستوري لأن الوزارة بدلاً من أن تواجه البرلمان لكي تنال ثقته وبدلاً من أن تنزل علي إرادته حلت مجلس النواب الأول ثم حلت مجلس النواب الثاني حين آنست أن الأغلبية ليست في جانبها وبذلك حل مجلس النواب لسبب واحد مرتين وهذا نقض لأحكام الدستور واستفحل نفوذ السراي في ظل هذا النظام لأن الوزارة لم يكن لها سند غير السراي ، بعد أن أهدرت إرادة الأمة ، وهكذا عُطِّل الدستور ، ومن عجب أن من هؤلاء السادة من صبروا علي حكم الاحتلال السنين الطوال ولم يتبرموا به أو يقاوموه أو يعارضوه ثم هم أولاء لم يصطبروا علي حكم الشعب أشهر معدودات ، وبالطبع لم يقم أحد بدعوة البرلمان للانعقاد ، ومكثت البلاد بلا برلمان لفترة وهو أمر مريح جداً للإنجليز والملك وزيور باشا وكل أعداء الشعب ، كما تم استبدال المندوب السامي البريطاني اللورد أللنبي باللورد جورج لويد**

قالت ليلي :

- **فماذا حدث بعد ذلك ؟**

قال الأب :

- **حدث بعد فترة حدث مثير جداً ، وهو اجتماع البرلمان رغم أنف الحكومة**
- **وهل اجتمع في مبني البرلمان ؟**

- **لا طبعاً فمبني البرلمان مغلق وعليه حراسة**
- **فأين ومتي وكيف اجتمع البرلمان ؟**
- **في يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ إجتمع البرلمان من تلقاء نفسه طبقاً لأحد مواد الدستور التي تنص علي أن البرلمان يجتمع من تلقاء نفسه بعد فترة محددة في حالة عدم دعوته للانعقاد من قِبل الملك ، وتم الاجتماع في أحد الفنادق الكبري نظراً لوجود قوة عسكرية تمنع دخول مبني البرلمان بالقوة (وقام البرلمان بسحب الثقة من حكومة أحمد زيور)**

قال حسين :

- **كي نستفيد من معرفة التاريخ يجب أن نتوقف ونتأمل في سبب منع النواب من دخول مبني البرلمان وحصاره بقوة عسكرية ، فهل قرأ الاحتلال تاريخ مصر ودرسوه بعناية وعرفوا ما حدث في عصر الخديو اسماعيل عندما اعتصم نواب الشعب في مجلس شوري النواب وتبادلوا المبيت فيه حتي استقالت الحكومة ، فأيقن الطغاة خطورة أن يجتمع نواب الشعب فمنعوا حدوث ذلك بالقوة**

قالت ليلي :

- **وهل اعتصم النواب من قبل داخل مجلسهم ؟**
- **بالتأكيد وقد حدث ذلك في عهد الخديوي اسماعيل ، فكأن الطغاة قد درسوا وحللوا هذا الموقف التاريخي وقرروا عدم تكراره ، فوصَّي كل طاغية من يليه من الطغاة أنه في حالة حل البرلمان لا تسمح أبداً بدخول النواب واجتماعهم فيه فهم صوت الشعب ولابد من إسكاته تماماً بأي وسيلة ، والقوة هي أفضل الوسائل**
- **فهل يمكنك أن تقرأ لنا ما حدث من كتب التاريخ ؟**
- **لا مانع بالطبع ، فقد كان مجلس شوري النواب مجرد إجراء شكلي صنعه الخديو اسماعيل ليتباهي به أمام أصدقاءه من ملوك أوروبا الذين يتحدثون دائماً عن الحياة النيابية ، فإذا بالشكل يتحول إلي حقيقة ، فهل كان اسماعيل وهو يضع لبنات مجلس شوري النواب يتوقع أن ينقلب الهزار إلي جد ؟ وأن يتحول هذا المجلس الضعيف المسالم إلي شريك مخالف شرس ؟ وأن يصيح أحدهم في وجه الطاغية حين أراد فض المجلس دون النظر في الميزانية : أننا هنا سلطة الأمة ولن نخرج من هنا إلا بقوة الحراب (!!) قالها عبد السلام المويلحي في صباح يوم الخميس ٢٧ مارس ١٨٧٩ م عندما توجه رياض باشا وزير الداخلية ورمز الاستبداد وهو منتفخ الصدر إلي قاعة مجلس النواب بالقلعة ليتلو قرار فض الدورة حتي تكتمل المؤامرة التي دبرها رئيس الوزراء نوبار باشا مع الوزيرين الدخيلين – الإنجليزي والفرنسي – لإعلان إفلاس مصر كحل أخير لأزمة الديون الأجنبية وعلمت العناصر الوطنية في المجلس بما تدبره الحكومة في الخفاء ، فأعدوا مشروعاً مضاداً يقضي أن يلتزم المصريون بتسديد الديون من دخلهم القومي بشرط تنظيم الشئون**

المالية وإصلاح مفاسد الإدارة بعيداً عن الوزيرين الأجنبيين ، وبالرغم من مغادرة رياض باشا المجلس غاضباً ظل المجلس في حالة انعقاد وتناوب الأعضاء علي المبيت في القاعة حتي استقالت الحكومة

- إنه موقف عجيب فعلاً ، ومن الأفضل بالفعل لأي حكومة تقوم بحل البرلمان أن تقوم بإغلاق المبني وتمنع الأعضاء من الدخول

فقال سعد :

- فماذا حدث بعد ذلك يا أبي ؟

وقالت ليلي :

- فماذا كان رد فعل زيور باشا علي سحب الثقة من حكومته ؟
- لم يهتم زيور باشا ولا الملك ولا الاحتلال باجتماع البرلمان من تلقاء نفسه واعتبروه كأن لم يكن وكل ما حدث أن قام زيور بتعديل طفيف في الوزارة ، وتدخل المندوب السامي لمحاولة إرضاء الأحزاب التي قررت مقاطعة الانتخابات وقام بإلغاء حزب الاتحاد الموالي للسراي تمهيداً لإسقاط الوزارة

قال حسين :

- المفيد في الأمر أنه قد تم اتحاد جميع القوي السياسية برئاسة سعد باشا زغلول وعدلي باشا يكن وعبد الخالق ثروت باشا ومحمد محمود باشا وغيرهم ضد زيور باشا وطالبوا بإجراء انتخابات وعودة الحياة الدستورية ، وبالفعل أذعنت الحكومة وتم إجراء الانتخابات وتم فوز الوفد بالطبع بالأغلبية ولكن سعد باشا زغلول آثر عدم تولي الوزارة تفادياً للصدام مع الإنجليز والملك ومنعاً للمكائد السياسية واكتفي برئاسة البرلمان ، وتولي عدلي باشا يكن رئاسة الحكومة ومن بعده عبد الخالق ثروت باشا ولم تكن قضية استقلال البلاد من أولويات الوزارة وذلك لتنعم البلاد بحياة دستورية دون إزعاج من الإنجليز والملك

قال شريف :

- أو إن شئت فقل لينعم السياسيون بالحياة الدستورية دون الصدام مع الاحتلال

قالت ليلي :

- فماذا حدث بعد ذلك ؟

قال الأب بحزن :

- ثم حدث أن ارتجت مصر كلها علي خبر مفجع وهو وفاة سعد باشا زغلول زعيم الأمة عن عمر ناهز (٧١) عاماً يوم ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ ، وقررت الحكومة بناء ضريح له وتمثالين أحدهما بالقاهرة والآخر بالإسكندرية والاحتفاظ ببيته ملك للدولة كبيت للأمة ، وخلفه في رئاسة الوفد مصطفي النحاس باشا

ثم نظر الأب إلي محمود ابن أخيه كأنه يدعوه للكلام كما تفعل زوجته ليلي ، حتي يندمج معهم في الحديث وكي يشعر أنه واحد من أفراد الأسرة كأولاده تماماً ، فهو زوج ابنته علي أي حال ، فقال له :

- أراك تستمع لكلامنا فقط يا محمود ولا تشاركنا في الحديث
- إنني أجد من الآراء التي تُقال ما يوافق رأيي فيُغنيني عن الكلام ، ولكن إن أحببت يا عمي أن أشارككم الحديث سأفعل بالطبع
- سأكون سعيد بالطبع إن قلت لنا رأيك فيما قلناه
- في الحقيقة يا عمي ، أنا أري أنها دورة تتكرر بكل تفاصيلها تقريباً في كل مرة ، حتي لا نسترسل في الحديث عن ما يُسمي بالحياة الدستورية ونسرد الكثير من التفاصيل التي لا داعي لها ، يجب أن نتوقف قليلاً لتوضيح دورة العبث بالحياة الدستورية في مصر لأنها تكررت كثيراً
- أرجو أن تشرح لنا ما تسميه بدورة العبث بالحياة الدستورية التي تتكرر من وجهة نظرك فقد يغنينا ذلك عن الكثير من الكلام
- لنشرح هذه الدورة يجب أن نتأمل ماذا لدينا من مكونات لها ، أولاً لدينا احتلال بريطاني مسلح يفرض مصالحه بالقوة من خلال مندوبه الملقب بالسامي ولا يهتم من قريب أو بعيد بما يسمي بالدستور المصري أو الديمقراطية في مصر إلا بقدر تحقيق أهدافه الدنيئة في سرقة ثروات البلاد وخداع السياسيين بها بمفاوضات عقيمة ليس لها أي جدوي ولو استمرت مئات السنين فهي مجرد مخدر موضعي يمرر به الأوقات لصالحه واحتلاله لمصر معترف به دولياً ويباركه ويؤيده المجتمع الدولي ، ثانياً لدينا ملك متفرغ لتضخيم ثروته ويكره الدستور ، ويعشق الحكم المطلق كباقي حكام أسرة محمد علي باشا ، ولا يهتم أيضاً بالجلاء أو القضية الوطنية بل إنه يتعاون مع الاحتلال للإطاحة بالوزارات التي لا تعجبه ، ثالثاً لدينا نخبة فاسدة من السياسيين الوصوليين الذين لن يتمكنوا من الوصول للسلطة ورئاسة الحكومة بأغلبية برلمانية عبر صناديق الانتخابات من أمثال أحمد زيور واسماعيل صدقي، فمن مصلحتهم هم أيضاً تعطيل الدستور وافتعال الأزمات لحل البرلمانات المنتخبة وإسقاط الحكومات الشرعية ، بالتنسيق مع الاحتلال أو الملك أو الأثنين معاً ، وهم جاهزون ومستعدون في أي وقت لتأليف وزارات تتنازل عن حقوق الشعب لصالح الملك والاحتلال البريطاني ، وأخيراً لدينا زعماء للشعب يفوزون في الانتخابات ويتفاوضون مع الاحتلال مفاوضات فاشلة وتتم الإطاحة بهم والتلاعب بوزاراتهم

كان الجميع يستمع بإعجاب إلي ما يقوله محمود فقد لخص الأمور بأسلوب مبسط وواضح وإن كان لعمه بعض التحفظات علي ما يقول ، ولكنه سأله قائلاً :

- لقد ذكرت المكونات ، فماذا عن الدورة نفسها ؟

- تبدأ الدورة عادةَ بإجراء الانتخابات وفوز حزب الأغلبية وهو حزب الوفد فوزاً ساحقاً فيقوم رئيس الوفد بتأليف الحكومة ويستمر الحكم الدستوري لفترة قصيرة نسبياً إلي أن تحدث أزمة سواء كانت حقيقية أو مفتعلة فيتم ببساطة إقالة الحكومة وحل البرلمان ، وتأليف حكومة من النخبة الفاسدة وتعطيل الدستور وتحقيق مصالح الاحتلال والملك في تلك الفترة إلي أن يتذمر الشعب ويفيض الكيل ، فيقوم الاحتلال والملك بتأليف حكومة جديدة لتهدئة الأمور ولإجراء انتخابات جديدة فيفوز حزب الوفد ويعود رئيسه للسلطة ثم يتم حدوث أزمة جديدة وهكذا باختصار شديد ما كان يحدث للحياة الدستورية في مصر ، فما الداعي لسرد تفاصيل كل دورة من تلك الدورات
- لأن كل دورة علي حد تعبيرك لها أخطاء خاصة بها وحدها تقع فيها القوي الوطنية فيجب أن نتعلمها وندرسها حتي لا نقع فيها مرة أخري

كانت ليلي بالطبع أشد المعجبين بأسلوب زوجها محمود في الكلام ، أما شريف فكان مؤيداً لآراءه جداً بعد أن استمع لكلامه ، أما حسين فقد اكتشف فيه كنزا في تحليل الأمور بعمق وفي نفس الوقت ببساطة فقرر أن يستفيد من أسلوبه في التفكير فسأله قائلاً :

- فلماذا في رأيك كانت تفشل جميع المفاوضات مع الإنجليز ؟
- إذا تأملنا معاً سبب فشل جميع المفاوضات التي كانت تتم بين المفاوض المصري والاحتلال البريطاني وحتي لا نتعجب أيضاً من كل حالة فشل علي حدة ، فقد كانت هناك مطالب غير مشروعة للاحتلال لا يستطيع المفاوض المصري قبولها أبداً فكان إصرار الإنجليز عليها يجعل منها صخرة تتحطم عليها أو عندها أي مفاوضات سواء تمت هذه المفاوضات في مصر أو تمت في بريطانيا ، وسواء تمت بواسطة حكومة شرعية منتخبة أو حتي حكومة غير منتخبة
- فما هي هذه المطالب ؟
- مطالب الإنجليز الأساسية هي إنشاء قاعدة عسكرية لبريطانيا وحلفاءها في مصر وكذلك فصل السودان عن مصر ، فأما موضوع وجود قاعدة عسكرية في مصر فيعتبره المفاوض المصري نوع من أنواع الاحتلال المرفوض ، وأما مسألة السودان فلا تنازل عنها أبداً فكما نعرف جميعاً أن المصريين والسودانيين يعتبرون مصر والسودان دولة واحدة فهما وادي واحد أحدهما في شماله والأخري في جنوبه
- بالتأكيد ، فالمصري يقول عن السودان جنوب الوادي والسوداني يقول عن مصر شمال الوادي ، وتسمع كلمات عن السودان من السياسيين في مصر تؤكد هذا المعني ، كأن يقول أحدهم أن السودان ألزم لمصر من الإسكندرية ، ويقول آخر أننا إذا تركنا السودان فإن السودان لن تتركنا ، والحكومة المصرية عندما

تخطط للمشروعات التنموية أو تطوير التعليم أو غير ذلك من عوامل العمران لا تنسي السودان أبداً وهناك العديد من الموظفين والضباط والجنود المصريين يقيمون في السودان

- **هذا صحيح ، وقد كان لثورة ١٩١٩ صداها في السودان ، وكم قامت مظاهرات في مصر بسبب السودان ومظاهرات في السودان بسبب مصر ، وكلها حقائق وثوابت راسخة لا تقبل النقاش أو الجدل ، ويجب أن نعيها جيداً حتي نفهم طبيعة أفكار السياسيين المصريين عندما يتعلق التفاوض بالسودان وعلي أي حال لا أريد أن أكون السبب في توقف سرد الأحداث بأسلوب عمي العزيز الممتع ، فأرجوك يا عمي أن تستكمل السرد حتي لا أشعر بالذنب**

فقال الأب :

- **لا توجد أي مشكلة يا بني في التوقف وتأمل ما قلناه لنأخذ العبرة ونتعلم من الدروس وإلا فما فائدة التاريخ**

ثم التفت الأب إلي ابنته وقال :

- **هل تتذكرين أين توقف بنا الكلام ؟**
- **أجل يا أبي ، فقد كنا نتحدث عن تولي صاحب الدولة مصطفي النحاس باشا رئاسة الوفد بعد وفاة المغفور له بإذن الله سعد باشا زغلول**
- **أجل يا ابنتي فقد توفي سعد باشا رحمه الله خلال تولي وزارة ثروت باشا الحكم ثم حدث بتاريخ ٤ مارس ١٩٢٨ أن استقالت وزارة عبد الخالق ثروت باشا بعد فشل مفاوضاتها مع الاحتلال كالعادة وفي ١٧ مارس ١٩٢٨ تم تأليف وزارة مصطفي النحاس باشا**

قال شريف :

- **لتبدأ دورة عبث جديدة بالدستور ، فلم تدم وزارة النحاس باشا طويلاً فهي وزارة حزب الأغلبية وغير مرغوب فيها من الملك والاحتلال ، ففي ٢٥ يونيو ١٩٢٨ تمت إقالة وزارة مصطفي النحاس باشا**

فقالت ليلي :

- **ولماذا تمت إقالة الوزارة ؟ هل تم اغتيال أحد القادة الإنجليز ؟**

قال شريف :

- **لا بل تم افتعال أزمة وزارية واستقال بعض الوزراء المحسوبين علي السراي بتدبير من الملك والإنجليز ، وبتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٢٨ تم تأليف وزارة محمد محمود باشا ، الموالية للملك والاحتلال وفي اليوم التالي تقرر تأجيل عقد البرلمان لمدة شهر**

- **تمهيداً لحله كالعادة ؟**
- **نعم فبتاريخ ١٩ يوليو ١٩٢٨ تم حل البرلمان وتعطيل الدستور لمدة ٣ سنوات وأعطي الملك لنفسه السلطة التشريعية وإصدار القوانين**
- **ولكن كل هذا قد يثير غضب الشعب**
- **بالتأكيد ولذلك قرر الاحتلال تغيير المندوب الغير سامي لتهدئة الأمور ، ففي شهر سبتمبر ١٩٢٩ تم وصول السير برسي لورين للعمل كمندوب سامي جديد في مصر لتلطيف الجو واستمرار عملية التخدير والخداع فطلب عرض مشروع معاهدة جديد علي برلمان منتخب وبالتالي يجب أن تستقيل الحكومة الإنقلابية وتعيين حكومة تُجري انتخابات لتبدأ دورة عبث بالدستور جديدة ، وبتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٢٩ استقالت وزارة محمد محمود باشا وتم تأليف وزارة عدلي يكن باشا لإجراء الانتخابات لعرض مشروع المعاهدة الجديد علي البرلمان المنتخب**

قال حسين مستكملاً :

- **وفي ديسمبر ١٩٢٩ تم إجراء الانتخابات**
- **وفاز الوفد بالأغلبية كالعادة ؟**
- **بالتأكيد (انتخابات–ثم فوز الوفد–ثم أزمة–ثم إقالة الوفد وحل البرلمان –ثم انتخابات وهكذا) ، علي أي حال تم بتاريخ ١ يناير ١٩٣٠ استقالة وزارة عدلي يكن التي أجرت الانتخابات وتم تأليف وزارة مصطفي النحاس باشا**
- **وهل هذه الوزارة قد أجرت مفاوضات مع الإنجليز ؟**
- **نعم ، فقد سافر النحاس باشا إلي لندن علي رأس وفد رسمي للتفاوض مع الحكومة البريطانية ورفض كالعادة ما تم عرضه عليه من المستر آرثر هندرسون الذي تولي رئاسة المفاوضين الإنجليز وتم قطع المفاوضات مما أثار غضب الحكومة البريطانية علي النحاس باشا**
- **وقد سعت بالطبع الحكومة البريطانية لإقالة مصطفي النحاس باشا لرفضه مشروع المعاهدة الذي عُرِض عليه أليس كذلك ؟**
- **في الحقيقة لم يكن ذلك هو السبب الوحيد ولا الجهة الوحيدة التي سعت لإقالته هذه المرة**
- **كيف ذلك ؟**

فقال شريف ليوضح هذه النقطة لأخته بأسلوبه :

- لأن وزارة الأغلبية تعمل لصالح الشعب الذي انتخبها ، فقد قامت الوزارة أيضاً بعمل أثار غضب الإنجليز ومن والاهم فعجَّلوا بسقوطها والكيد لها ، بسبب شروعها في تأسيس بنك التسليف الزراعي مما أثار نقمة الدوائر المالية الأجنبية أو المتمصرة التي رأت فيه ما يغل يدها عن استغلال البلاد وأهلها عن طريق القروض الربوية ، فانضمت هذه الدوائر إلي الساعين لإسقاط الوزارة ، وهكذا تربص الكثيرون من أعداء الشعب بهذه الوزارة لتسقط ، فبالإضافة للاحتلال والملك كانت هناك النخبة السياسية الفاسدة التي تسعي للسلطة بدون أغلبية

فالتفتت ليلي إلي أبيها وقالت :

- هل يمكن أن تحكي لي يا أبي ما حدث ؟

فقال الأب :

- في الحقيقة يا ابنتي بعد أن تولي دولة النحاس باشا الوزارة أخذ طُلَّاب الحكم يدبرون المكايد ليحطموا الدستور ويصلوا إلي الحكم من غير طريقه المشروع ، ووقف الإنجليز من خلف الستار يعلنون كعادتهم أن لا شأن لهم في هذه الأزمة الداخلية ، تاركين للعناصر الرجعية المصرية تنفيذ أغراضهم البعيدة المدي ، وما إن قُطِعت المفاوضات حتي بدأ "الأحرار الدستوريون" تدبيرهم لإسقاط الوزارة ، والحلول محلها في الحكم ، فرفعوا عريضة إلي الملك فؤاد في ٢٧ مايو سنة ١٩٣٠ بالمطاعن–التي–كالوها للوزارة وختموها بالضراعة إلي الملك "أن يتلافي الأمر بحكمته" أو بعبارة أخري أن يقيل الوزارة ، وهي الطريقة التقليدية التي كان يلجأ إليها طُلَّاب الحكم من طريق هدم الدستور وإهدار حقوق الشعب
- وماذا فعل الملك ؟
- لقد استجابت السراي إلي هذه العريضة وأخذت تُعطِل أعمال الوزارة البرلمانية وتمتنع عن إمضاء المراسيم لتشل عملها وتضطرها إلي الاستقالة ، وكان مما اشتد الخلاف حوله إصرار الوزارة علي تقديم مشروع قانون محاكمة الوزراء إلي البرلمان ، وفي هذا المشروع نصوص تقضي بعقاب الوزراء الذين يُقدمون علي قلب دستور الدولة أو حذف حكم من أحكامه أو تعديله أو تغييره بغير الطريقة التي رسمها الدستور ، أو مخالفة حكم من أحكامه الجوهرية ، ومحاكمة كل وزير يبدد أموال الدولة العامة ، وكان الغرض من هذا المشروع صيانة النظام الدستوري وحمايته من العبث والانقلابات ، فلما عُرِض مشروع هذا القانون علي السراي رفض الملك فؤاد توقيع المرسوم بعرضه علي البرلمان ، وهنا اتفقت أيضاً ميول السراي ومرامي السياسة البريطانية

قال شريف :

- **وكانت السياسة البريطانية فضلاً عن نقمتها من الوزارة الدستورية رفضها مشروع هندرسن ، لم تكن تميل إلي إصدار قانون لمحاكمة الوزراء الذين يعتدون علي الدستور لأنها في حاجة عند اللزوم إلي مثل هؤلاء الوزراء**

فقال الأب

- **كما قامت مشكلة أخري بين الوزارة والملك بشأن تعيين أعضاء مجلس الشيوخ حيث لم يلتزم الملك بترشيحات الوزارة ، وفي النهاية استقالت وزارة النحاس باشا بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٣٠ واستراح الملك والإنجليز والنخبة السياسية الفاسدة وانتهت إحدي دورات العبث بالدستور علي حد تعبير محمود**

فقال حسين بحزن :

- **ثم وصل للحكم اسماعيل صدقي باشا بتاريخ ٢٠ يونيو سنة ١٩٣٠ وهو من رجال السراي والإنجليز**

قال شريف :

- **خصم الدستور الألد ، والمستهتر الأول بحقوق الشعب**

قال الأب :

- **عندما تولي اسماعيل باشا صدقي الوزارة لم يتفاءل الناس به وكانوا علي حق وكانت الأفكار تتناقل الإشاعات المختلفة عما تبيته الحكومة الجديدة للحياة الدستورية وكان الظن أن تلجأ إلي تعديل قانون الانتخاب لتضمن تدخلها وضغطها علي حرية الناخبين أو توقف الحياة الدستورية كما فعلت وزارة محمد محمود باشا ، ولكن وزارة اسماعيل صدقي كانت أمعن في العدوان مما ظنه الناس إذ استقر عزمها علي إلغاء الدستور ووضع دستور آخر يُضيِّق من سلطة الأمة**
- **تم إلغاء دستور سنة ١٩٢٣ بهذه البساطة ؟**
- **أجل للأسف ، فقد صدر الأمر الملكي في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٣٠ بإلغاء دستور ١٩٢٣ وبحل مجلسي النواب والشيوخ وإعلان الدستور الجديد ووقّع الملك فؤاد علي هذا الأمر وعلي الدستور**

الجديد ووقع معه وزراء اسماعيل صدقي ، وصدر في نفس اليوم قانون الانتخاب الجديد منسجماً مع الدستور الذي ابتدعته الوزارة ، وعرضت الوزارة خفية أمر هذا الدستور علي الحكومة البريطانية قبل إصداره وأطلعت وزارة الخارجية البريطانية علي نصوصه وكانت هذه علي علم باليوم المحدد لصدوره

- **فماذا كان رد فعل الحكومة البريطانية ؟**
- **كان جوابها أن هذه من المسائل الداخلية التي لا شأن لها بها ومدلول الجواب موافقتها علي هذا الاعتداء فمضت الوزارة مطمئنة إلي إنفاذه وكان موقف الحكومة البريطانية تحت ستار الحياد ينطوي علي الانتقام من الأمة لعدم قبول حكومتها البرلمانية مشروع المعاهدة ، فسياستها هي إما قبول السيطرة البريطانية وإما حرمان الأمة حقوقها الدستورية بواسطة الوزارات الرجعية**

قال حسين :

- **أشارت جريدة الديلي ميل الإنجليزية بقولها قبيل صدور الدستور الجديد : تُدَبّر أزمة جديدة في سراي عابدين ، الملك فؤاد بمعاونة صدقي باشا قد سنَّا دستوراً جديداً تماماً ، إلي أن قالت ومعني هذا أن الحكومة تكون حكومة السراي وأن الحكومة هي الملك نفسه وستكون نتيجة هذا التغيير المنتظر نقل السيطرة البرلمانية من الوفديين المضادين للبريطانيين إلي الملك الذي يتسني له إذ ذاك أن يحكم البلاد حكماً مطلقاً ، أما الذين يعلمون طريقة سير الحوادث في مصر فيقولون إنه من المستحيل علمياً أن تتبع بريطانيا سياسة عدم التدخل في الشئون المصرية ، فما دامت بريطانيا واضعة جنودها في القاهرة وأسطولها علي مقربة من الإسكندرية فإن عدم تدخلها يعتبر علي الأقل معادلاً للتأييد السلبي**

قال سعد ببراءة :

- **وكيف تتحدث جريدة بريطانية بهذا الوضوح عن الشأن المصري ؟**

قال حسين :

- **تتسم الصحف البريطانية بالشفافية مع الشعب البريطاني كما لا توجد لديهم رقابة كالتي يفرضونها علينا ، وعلي أي حال كان الجميع يعتبر أن الموقف الرسمي البريطاني الذي يدّعي الحياد موقف غير حقيقي وأن الحياد المزعوم حياد**

كاذب وقد قال شاعر النيل حافظ إبراهيم مخاطباً الإنجليز منددا بسياسة الحياد ناعياً عليهم ظلمهم وإخلافهم وعودهم للأمة :

قصر الدوبارة قد نقضت العهد نقض الغاصب
أخفيت ما أضمرته وأبنت ود الصاحب
الحرب أروح للنفوس من الحياد الكاذب
وقال مخاطباً المندوب السامي البريطاني منددا بحياد الإنجليز المصطنع :
أمحايدٌ أم حائدٌ عن منهج الحق المبين ؟
نازلت شعباً أعزلاً بمدرعين مدججين
وأمنت عقبي الظالمين وبئس عقبي الظالمين
مهما تُصِب منا فلسنا الجازعين اليائسين
إنا بجبار السماء وبالعقيدة نستعين
إن العقيدة لا تزلزلها حراب الغاصبين
فلئن ملكتم يومكم لغد لرب العالمين
أأمنتمو صرف الزمان وفتكه بالغاشمين

قالت ليلي :

- **فماذا فعل النحاس باشا بعد كل هذا ؟**

قال شريف :

- **كان النحاس باشا بصفته رئيس الوفد هو الوريث الشرعي لشعبية سعد باشا زغلول إذا كانت الشعبية يتم توريثها ، علي أي حال لقد أصبح النحاس باشا الزعيم الشعبي كبديل لسعد باشا ، وبالتالي فإن الشعب هو مصدر قوته التي يواجه بها الاحتلال والملك والوزارات المستبدة الإنقلابية ، فقام وأعضاء الوفد بجولة في الأقاليم ليخطبوا ضد الظلم وضد الإنقلاب علي الدستور وضد الاحتلال البريطاني ، وكانت خطبهم تجذب الجماهير وتلتف حولهم في كل مكان**

فالتفتت ليلي إلي أبيها كعادتها فهي تحب أن تسمع قصة أي حدث منه شخصياً مهما تكلم الآخرين واستفاضوا عن أي حدث ، وقالت :

- **فماذا كان رد فعل الحكومة والاحتلال عندما قام الوفد بهذه الجولات ؟**

قال الأب :

- لقد أزعج الوفد بالطبع الحكومة والاحتلال بهذه الجولات والخطب التي استجاب لها الشعب وتحمس لها كما كان يتحمس لخطب سعد باشا ، فقررت الحكومة فض هذه الإجتماعات ولو بالقوة فسقط عدة قتلي كالعادة وكان أكثرهم بالإسكندرية
- إنا لله وإنا إليه راجعون ، فما تفاصيل ذلك ؟
- فمثلاً ، زار النحاس باشا مدينة المنصورة يوم ٨ يولية تلبية لدعوة لجنة الوفد بها ، فازدحمت الشوارع بالجماهير لتحيته ، وأنفذت الوزارة إلي المدينة قوة من الجيش بلغت ثلاثة آلاف جندي مدججين بالسلاح ، عدا قوة البوليس ، وبينما كانت السيارة التي تقل النحاس تجتاز شارع البحر في مكان ضيق اعترضتها قوة من الجيش أطلقت النار إرهاباً ، وهجم جماعة من الجند بأسنة الرماح "السونكي" يهددون المدعوين أن يعودوا وإلا أصابهم القتل ، فلما استمر الركب في سيره نفَّذ الجند وعيدهم فأصابوا سينوت بك حنا الذي كان يرافق النحاس في عربته بجروح بالغة في ذراعه ، وقُتِل أربعة من الأهلين وثلاثة من رجال الجيش والبوليس ، وبلغ عدد القتلي ١٢٥ جريحاً –وقد كان لهذه المأساة وقع أليم في نفوس الناس في المنصورة وفي أرجاء البلاد –أما الإسكندرية فكانت ميداناً لحوادث خطيرة ، فقد تألفت فيها يوم ١٥ يولية مظاهرات احتجاجاً علي حوادث القتل التي وقعت في بلبيس والمنصورة ، فقابلها الجند بإطلاق النار ، وبلغ عدد القتلي عشرين قتيلاً ، وعدد الجرحي ٥٠٠ جريح غصّت بهم مستشفيات المدينة ، وقبض البوليس علي بعض أعضاء لجنة الوفد المركزية –وعلي عدد كبير من الأَهلين—وكان يوم ٢١ يولية وهو اليوم الذي حدده الشيوخ والنواب لاجتماع البرلمان بعد انتهاء فترة التأجيل ، وإذا اعتزم الأعضاء الاجتماع في هذا الموعد ، فقد احتلت الحكومة دار البرلمان لمنعهم الاجتماع فيه ، وقامت في هذا اليوم مظاهرات عديدة في شتي نواحي القاهرة احتجاجا علي منع البرلمان من الاجتماع ، واستعدت الحكومة لقمع هذه المظاهرات بقوات عظيمة من الجيش والبوليس وبلوك الخفر وبأقسي الوسائل ، وأطلق الجند النار علي المتظاهرين في عدة أحياء ، فبلغ عدد القتلي منهم أربعة وعدد الجرحي أربعين ، عدا من أُصيبوا ولم يبلغوا عن إصاباتهم وهم كثيرون
- يا لبشاعة الموقف ، ألا توجد وسائل أخري لفض التظاهر خلاف ضرب النار ؟ فماذا يحدث في الدول التي تسمي نفسها متحضرة عندما يحدث مظاهرات احتجاجية لأي سبب ؟
- إذا حدث أي تظاهر سلمي لا تحدث أي مشاكل علي الإطلاق ، فالمتظاهر يريد أن يعبر عن رأيه بحرية ويعود إلي بيته فيتركونه وشأنه ، أما إذا لم يلتزم المتظاهرون بالسلمية يتم فض التظاهر بالماء أو أي أسلوب آخر لا يؤدي للقتل

قال شريف :

- وهكذا أثبت النحاس للجميع أن الشعب المصري يلتف حول مبادئ الوفد ولكن هذا الإثبات احتاج كالعادة إلي إراقة الدماء ، فلا أحد من الطغاة والظالمين يشعر بوجود هذا الشعب إلا إذا سقط منه العديد من القتلي والجرحي ، وقد حاول اسماعيل صدقي أن يكون له ظهير شعبي ولو علي الورق فأسس حزب جديد سماه حزب الشعب ولم يكن له علاقة بالشعب بخلاف الاسم فقط

قال حسين مستكملاً السرد :

- وتمت الانتخابات الصورية في يونيو ١٩٣١ والتي قاطعها الوفد والأحرار الدستوريون كما قاطعها الشعب ولكن ليست مقاطعة سلبية بل قام بمظاهرات تندد بها وتحتج عليها
- أتفهم سبب مقاطعة الشعب لهذه الانتخابات ولكن لماذا قاطعها حزب الأحرار الدستوريين ؟
- قاطعها الأحرار الدستوريون بسبب إغفالهم في وزارة صدقي باشا فابتعدوا عن السلطة
- وهل وقعت أحداث مؤسفة خلال المظاهرات التي تندد بالانتخابات ؟
- بالطبع وقعت فيها أحداث دموية كالعادة ، وبلغ عدد القتلي في مظاهرات الاحتجاج ١٠٠ قتيل والجرحي ١٧٥
- لا أعرف كيف تمر عليكم هذه الأرقام المفجعة لأعداد القتلي ولا تهتزون لها ؟
- إنها للأسف كما تقولين أصبحت مجرد أرقام اعتدنا عليه واعتاد الجميع علي سماعها حتي البرلمان الجديد نفسه الذي كان سبباً في حدوثها لم يعبأ لها فبتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٣١ اجتمع البرلمان الجديد المؤيد لصدقي وحكومته
- وماذا حدث لهذه الحكومة ؟

قال الأب :

- كان أهم ما يميز فترة حكم اسماعيل صدقي وحزبه وبرلمانه ودستوره هو حدوث أزمة إقتصادية سماها البعض السنين العجاف وانخفضت أسعار القطن واستمرت الأزمة من حوالي سنة ١٩٣٠ إلي سنة ١٩٣٤

قال شريف :

- ولأن كل مرحلة لها المندوب البريطاني المناسب لها فقد قامت بريطانيا في أغسطس ١٩٣٣ بتغيير المندوب السامي البريطاني في مصر ليصبح السير مايلز لمبسون بدلاً من برسي لورين وتم وصوله إلي مصر في شهر يناير ١٩٣٤ ، واستمرت حالة السخط بين جموع الشعب المصري إلي أن استقالت وزارة اسماعيل صدقي ثم تم تأليف وزارة عبد الفتاح يحيي باشا إلي أن استقالت هي الأخري في ٦ نوفمبر١٩٣٤

وتم تأليف وزارة نسيم باشا وفي يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٣٤ تم إلغاء دستور سنة ١٩٣٠ وحل مجلسي النواب والشيوخ واحتفظ الملك بالسلطة التشريعية

قالت ليلي لوالدها وهي مندهشة كعادتها :

- **وأصبحت مصر بلا دستور ولا برلمان ؟**

فقال الأب :

- **نعم للأسف ، مما دفع الوفد في يناير ١٩٣٥ إلي عقد مؤتمر عام والمطالبة بعودة الحياة الدستورية طبقاً لدستور ١٩٢٣ ، ولكن بريطانيا تدخلت بتاريخ ٢٠ أبريل سنة ١٩٣٥ لمنع عودة دستور ١٩٢٣**

قال شريف :

- **ومما أثار سخط الشعب المصري وأشعل غضبه ما صرح به وزير الخارجية البريطاني السير صمويل هور بشأن الدستور المصري بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩٣٥ حيث أفاد أن مصر لا يصلح لها دستور سنة ١٩٢٣ كما أنها لا ترضي بدستور سنة ١٩٣٠ ومعني التصريح أن مصر دولة غير جديرة بالدستور ، وهذا التصريح اعتبره المصريون تدخلاً سافراً في شئون مصر**

قالت ليلي بحزن :

- **وكالعادة في ظل الاحتلال لابد أن يسقط قتلي من المصريين وتُراق دماءهم كي يسمع الجميع صوتهم ويشعرون بوجودهم**
- **هذا صحيح للأسف ، فبتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٣٥بدأت المظاهرات الاحتجاجية الدامية ضد تصريح هور ، وهي المظاهرات التي أطلق عليها البعض انتفاضة الشباب**

فقال الأب :

- **فقامت الأحزاب بالإجتماع في شهر ديسمبر سنة ١٩٣٥وقامت بتأليف الجبهة الوطنية المصرية لمحاولة إعادة الحياة الدستورية وتكونت من حزب الوفد والحزب الوطني وحزب الأحرار الدستوريين وحزب الشعب وحزب الاتحاد أي من جميع الأحزاب التي كانت قائمة في ذلك الحين كما ضمت عدد من المستقلين**
- **فماذا فعلت هذه الجبهة بعد تأليفها ؟**

قال شريف قبل أن يتكلم والده كالعادة :

- **كان قرار الجبهة هو أن ترسل خطاب إلي الملك تطلب منه التعطف بإعادة دستور سنة ١٩٢٣ الذي كان قد منحه للشعب ، وإن صيغة هذا الخطاب كما سترين ، ستجعلك تشعرين بأنهم يتسولون الدستور من الملك وكان ذلك بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٣٥**

قالت ليلي :

- **فمن قام بالتوقيع علي هذا الخطاب وماذا جاء فيه ؟**

قال الأب :

- **لقد وقَّع علي هذا الخطاب مصطفي النحاس باشا رئيس الوفد ومحمد محمود باشا رئيس الأحرار الدستوريين وإسماعيل صدقي باشا رئيس حزب الشعب ويحيي إبراهيم باشا رئيس حزب الاتحاد وحافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني وعبد الفتاح يحيي باشا وحمد الباسل باشا وحافظ عفيفي عن المستقلين وتسلمه علي ماهر باشا رئيس الديون الملكي ورفعه إلي الملك ، كما أرسلت الجبهة الوطنية خطاب آخر إلي المندوب السامي البريطاني ولم يوقع عليه رئيس الحزب الوطني طبقاً لمبادئ الحزب (الجلاء أولاً)**

وقام حسين بتلاوة نص الخطاب فقال :

- **حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك ،،، نتشرف نحن الموقعين علي هذا بأن نرفع إلي سدتكم الرفيعة هذا الملتمس الذي تتمثل فيه إرادة الشعب المصري مجتمعة كلمته منيعة جبهته ، فلقد حلت بالبلاد أزمة سياسية خطيرة اجتمع فيها الخطر الخارجي الذي يهدد البلاد بحرب جائحة إلي الخطر الداخلي الذي يهدد حريتها وطمأنينتها ويمس حقها المعترف به في تصريف أمورها والاستمتاع بدستورها مما دعا إلي انتشار روح القلق في البلاد واضطراب المصالح العامة والخاصة معاً ،، وإننا لنري بكل احترام أنه ما من مخرج من هذه المحنة أو علاج حاسم لها إلا أن يعود إلي الأمة فوراً دستورها الصادر في سنة ١٩٢٣ ، وما كنا فيما نري صادرين إلا عن الرأي الذي ارتضته حكمة جلالتكم السامية في كتابكم الملكي الصادر إلي مجلس الوزراء بتاريخ ٢٠ إبريل سنة ١٩٣٥ ، والذي ورد فيه ما يأتي بحروفه : (إن أعز أمانينا كما تعلمون هو أن تحيا البلاد الحياة الدستورية التي ترضاها ، سواء بإعادة دستور سنة ١٩٢٣ معدلاً علي النحو يرتئيه حسب المقتضيات نواب الأمة طبقاً لأحكام المواد ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ من ذلك الدستور أو وضع دستور تصدق عليه جمعية تمثيلية وطنية وإنا مع ذلك نفضل الطريقة الأولي) ،، (يا صاحب الجلالة) ،، ،(إذا كان الشعب ممثلاً في هيئاته وأحزابه السياسية قد أجمع هذا الإجماع الرائع علي وجوب عودة دستور الأمة منذ الآن فإنه إنما يقصد إلي استقرار نظام الحكم علي أساس سلطة الأمة توصلاً لإيجاد حكومة دستورية تعمل لإصلاح ما فسد وتحقق استقلال البلاد) ،، ولما كان الدستور من حق جلالتكم والشعب المصري ،، ولما كنا نعلم أن أسمي رغبات جلالتكم أن تطمئن الأمة إلي صيانة حقوقها ومرافقها فتهيأ لنفسها المصير الذي ينتظرها والمكان اللائق بها بين الأمم ،،، لذلك ،، نلتمس من جلالتكم ،،، التعطف بإصدار أمركم الكريم بإعادة دستور سنة ١٩٢٣ فوراً ونرفع إلي سدتكم مع هذا الالتماس أسمي**

فروض الولاء لعرشكم والإخلاص لذاتكم ،،، ولازلنا يا صاحب الجلالة لمقامكم العالي المطيعين المخلصين ،،، ١٢ ديسمبر ١٩٣٥

قالت ليلي :

- يا لها من صيغة مهينة بالفعل ، وأكثر ما لفت نظري فيها قولهم نلتمس من جلالتكم التعطف بإصدار أمركم الكريم بإعادة دستور سنة ١٩٢٣ حقاً لقد كان منحة من الملك للشعب ، فهل استجاب الملك لهذا الخطاب؟
- بالتأكيد ، فقد تم عودة العمل بدستور سنة ١٩٢٣ في نفس يوم استلام خطاب الجبهة الوطنية واستقالت وزارة نسيم باشا في يناير ١٩٣٦ وقام الملك بتكليف رئيس الديوان الملكي علي ماهر باشا بتشكيل الحكومة فتألفت وزارة علي ماهر بتاريخ ٣٠ يناير ١٩٣٦ ، كما قام الملك بتشكيل وفد للتفاوض مع الإنجليز برئاسة مصطفي النحاس باشا وأعضاء من الجبهة الوطنية وذلك بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩٣٦ وكان الملك قد اشتد به المرض واستقدموا له أطباء من الخارج لمحاولة علاجه ، ولكن كان عودة الدستور وتشكيل وفد التفاوض آخر ما قام به الملك فقد توفي إلي رحمة الله تعالي بتاريخ ٢٨ أبريل ١٩٣٦ وتولي الملك فاروق الحكم تحت الوصاية لعدم وصوله لسن الحكم
- ومتي وأين تحديداً قد توفي الملك ؟

قال الأب :

- أسلم الملك الروح في قصر القبة يوم الثلاثاء ٢٨ فبراير سنة ١٩٣٦ (٧ صفر ١٣٥٥ هـ) في منتصف الساعة الثانية بعد الظهر ، وله من العمر ٦٨ سنة ، وشيعت جنازته إلي مقره الأخير يوم الخميس ٣٠ أبريل في موكب رهيب ودُفن في مدافن الأسرة المالكة بالمسجد الرفاعي
- فهل لازلت محتفظ بنص النعي الذي صدر من الحكومة يا أبي ؟
- بالتأكيد ، فقد نعاه مجلس الوزراء في بيان شمل المناداة بالملك فاروق ملكاً لمصر ، ومما جاء في هذا البيان ما يلي : (فوجئت مصر بفاجعة كبري إذ انتقل إلي جوار الله مليكها المحبوب حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول—وستُبسط بلا ريب في جميع أنحاء القطر أكف الضراعة والابتهال إلي المولي القدير أن يتغمده برحمته ورضوانه ، وستقدر الأجيال المستقبلة ، بعد أن تتكشف حوادث الزمن ، أكثر مما نقدر ، ما كان لعهد حكمه من جلال وخطر وسيحمدونه شاكرين أثره ، وسيجعلون له من نباهة الذكر ومكانة الشرف في تاريخ مصر ما هو أهل له ، علي أن الإكرام العتيد المباشر لصاحب هذا العهد هو أن نتوجه مخلصين لإبنه المحبوب وأن نجعل له ما كان للأب الجليل من ثقة ومحبة ولذلك فإنه في الوقت الذي تتجاوب فيه القلوب بصدي الخبر الأليم مات الملك يجب أن يلتف المصريون جميعاً حول العرش في ولاء ثابت لا يدركه

ضعف أو وهن وأن يحيوا حضرة صاحب الجلالة فاروق الأول وقد نودي به ملكاً لمصر . وإن الأمة المصرية التي حبَّته منذ صغره حبها الصادق لواثقة بأنه سيترسم خطي والده العظيم ويحتذي مثاله عندما يبلغ سن الرشد ويصلح عمله بعمل الراحل الجليل عاش الملك

- غفر الله له ولجميع موتي المسلمين
- آمين
- هل من الممكن يا أبي أن تحدثنا ولو قليلاً عن شخصية الملك فؤاد ومراحل حياته المختلفة ، وعلاقته بالحياة الدستورية ؟
- لقد كانت المرحلة الأخيرة من حكمه للأسف يا ابنتي نضالاً مستمراً بينه وبين الأمة وقعت فيها ثلاثة انقلابات حطمت الحياة الدستورية

قال شريف :

- وهذا مما لا يشرف صفحة الملك ، وخاصة إذا لاحظنا أنه لم يبذل مثل هذا النضال ولا أقل منه في ميدان آخر كان هو الجدير به ، وهو ميدان النضال ضد الجانب البريطاني جانب الاحتلال والعدوان علي الاستقلال ، بل كان يعمل علي مسايرة السياسة البريطانية وتفادي الصدام بها وقد حدث ذلك قبل الثورة وفي خلالها وفي أعقابها ، ومن المحقق أيضاً أن هاتيك الانقلابات الثلاثة التي وقعت في عهده كانت تتم باتفاق بينه وبين الجانب البريطاني مع اختلاف في المقاصد والأغراض ، فالجانب البريطاني كان يري فيها عقوبة لمصر علي عدم إذعانها لسياسته ، والملك والمستوزرون يرون فيها استرداداً للحكم المطلق علي حساب سلطة الأمة ، ولا ينهض عذراً للملك فؤاد في مناوأته للدستور ما يدعيه بعض الرجعيين من أن الأمة لم تنضج لهذا النظام ، فإن هذه الدعاية إنما ابتدعها الاحتلال منذ سنة ١٨٨٢ ليسوغ بها عدوانه علي استقلال البلاد وإلغاء دستورها سنة ١٨٨٣ ، ويكفي للتحقق من بطلانها أن تقارن بين الوزارات التي اختارها الشعب والوزارات التي اختارها الملك فؤاد وفرضها علي الشعب فرضاً ، سواء في عهد الحماية أو في عهد ثورة ١٩١٩ أو في أعقابها فإنك من غير تردد أو تحيز تقطع بأن اختيار الشعب في مجموعه كان خيراً من اختيار الملك فهذا دليل ناطق علي أن الشعب ناضج للحياة الدستورية كفء لأن يختار الحكومة التي يرضاها
- ولكن الملك قد رضخ في النهاية لإرادة الأمة واستجاب لخطاب الجبهة الوطنية ، وأعاد دستور سنة ١٩٢٣ كما قام بتأليف وفد للتفاوض مع الإنجليز
- نعم لقد حدث كل هذا بعد أن تسوّل منه السياسيون في خطاب مهين هذه الإصلاحات السياسية

- وبالطبع قام النحاس باشا بتوقيع معاهدة الشرف والاستقلال بعد التفاوض الذي أقره الملك قبل أن يموت أليس كذلك ؟
- بلي ، ولكن كل المفاوضات قد تمت في عهد الملك فاروق وبعد وفاة والده ، وقد تم كما تعرفين إجراء أول انتخابات في عهده وفاز الوفد بالأغلبية كالعادة وتولي دولة النحاس باشا رئاسة الوزارة
- أعتقد أن القصة قد تم استكمالها إلي نهايتها فنحن نعيش اليوم هذه الأحداث

قال الأب :

- ولكني كنت أتمني أن أحكي لك القصة دون تدخل من إخوتك خاصةً شريف الذي كان يقاطعنا كثيراً

فقال شريف :

- أعتذر يا أبي عن مقاطعتي لكلامكم ولكني لم أتمكن من السيطرة علي نفسي

قال الأب :

- علي أي حال لا أستطيع أن أنكر أنك ساعدتني أنت وحسين في سرد القصة وقبلكم بالطبع زوجتي الحبيبة

وأراد حسين أن يستفيد من رأي محمود في المعاهده فالتفت إليه وقال :

- كنت أتمني معرفة رأيك في هذه المعاهدة ، وتحليلك العميق لها

قال محمود :

- إن هذا النوع من المعاهدات والله أعلم تقوم به الدول عندما تستشعر نشوب حرب أو عندما تخطط لدخول حرب ، فتقوم بتوقيع الكثير من هذه المعاهدات لتضمن الحصول علي المساعدة وعلي رأي أمير الشعراء حين قال :

وَقَبلَ الحَربِ حَربٌ مِنكَ كانَت نَتائِجُها لَنا ظَهَرَت وَبانَت

أَلَنتَ الحادِثاتِ بِها فَلانَت وَغادَرتَ القَياصِرَ حائِرينا

فقد سمحت هذه المعاهدة لبريطانيا بإقامة قاعدة عسكرية ضخمة في منطقة القناة وألزمت الحكومة المصرية ببناء المعسكرات والمطارات وإنشاء الطرق اللازمة لها ، كما سمحت لبريطانيا باحتلال جميع الموانى والمطارات واستخدام كافة الطرق والأجواء والسكك الحديدية عند الضرورة التي هي وحدها التي تحددها ، كما تقدم مصر الدعم اللازم لبريطانيا وحلفاءها في حالة الحرب

- إذن فأنت تري أن هذه المعاهدة ليست في صالح مصر ؟
- نعم ، فعندما يتفق القوي معه الضعيف علي بعض البنود لتنفيذها معهاً يكون القوي هو المستفيد دائماً فيفسر كل بند طبقاً لمصالحه ، وهو مجرد رأي قابل للنقاش والتصحيح

فقال سعد الصغير بسذاجته المعهودة :

- **ولكن النحاس باشا قد قال أنها معاهدة الند للند**

فابتسم محمود وقال لسعد :

- **لقد قال ذلك فيما أعتقد حفظاً لماء الوجه ليس أكثر**

فقال حسين :.

- **ولماذا في رأيك أقدم النحاس باشا علي توقيع هذه المعاهدة ؟**

صمت محمود لفترة كأنه يفكر ثم قال :

- **لا شك أن توقيع هذه المعاهدة كان وليد العدوان الماثل في وجود الاحتلال البريطاني ، فهذا الاحتلال هو مصدر هذه المعاهدة ، ولولاه ما حصلت بريطانيا علي موافقة الجانب المصري عليها ، علي أن النحاس باشا الذي وقعها يحتمل بلا مراء تبعة قبولها وإثم توقيعها ، فقد كان في استطاعته أن يرفض قبولها كما رفض من قبل توقيع مشروعات معاهدة مماثلة لها ، ولكن الرغبة الجامحة في محالفة الغاصب ومصافاته ، والبقاء في الحكم والاستمتاع بفوائده ، كل ذلك كان له الأثر البالغ في توقيع هذه المعاهدة ، إن هذه المعاهدة أساسها باطل ، والرضا بها باطل ، وهي قطعاً وليدة الغصب والإكراه ، ويتمثل هذا الغصب والإكراه في كل المفاوضات التي سبقت مشروعات المعاهدة ، ولقد دلت الحوادث المتلاحقة منذ أخفقت مفاوضات سنة ١٩٢١ علي أن كل إخفاق فيها وكل امتناع من جانب مصر عن قبول المعاهدة أعقبه تهديد بريطاني وعدوان علي مصر ، وكانت بريطانيا تتصيد المناسبات التي يتجلي فيها هذا العدوان**

ثم تذكر حسين ماحدث من قبل من إخفاقات فهو دارس جيد للتاريخ فاقتنع بكلام محمود وأكد كلامه قائلاً :

- **معك كل الحق بالفعل ، فإخفاق مفاوضات عدلي باشا يكن سنة ١٩٢١ أعقبه اشتداد الضغط والإرهاب ونفي سعد باشا زغلول وصحبه إلي جزائر سيشيل ، وإخفاق مفاوضات سعد باشا نفسه سنة ١٩٢٤ أعقبه الإنذار البريطاني في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٢٤ علي أثر مقتل السردار وهو الإنذار التي استباحت فيه الحكومة البريطانية طرد الجيش المصري من السودان وإهدار الاستقلال – وانتهت هذه الأزمة بمنع الحكومة المصرية من زيادة الجيش المصري وتخويل المفتش العام البريطاني سلطة القيادة العليا**

فقال الأب :

- **ولا تنسي أيضاً أن إخفاق مفاوضات ثروت باشا سنة ١٩٢٨ أعقبه تقديم الحكومة البريطانية مذكرة ٤ مارس سنة ١٩٢٨ التي استباحت فيها لنفسها التدخل في التشريع الداخلي بحجة أن هذه المفاوضات قد فشلت ، وأعقبه أيضاً**

الإنقلاب الثاني الذي عطل الحياة الدستورية ، كما أن إخفاق مفاوضات النحاس باشا سنة ١٩٣٠ أعقبه الإنقلاب الثالث وإلغاء الدستور وفرض نظام بغيض علي البلاد استمر زهاء خمس سنوات

قال محمود :

- هذه الوسائل العدوانية كان لها أثرها في جنوح الجانب المصري إلي قبول المعاهدة ، فالاحتلال البريطاني هو إذن أساسها ومصدرها ، والإكراه الاستعماري هو قوامها ومظهرها ، ولم تكن المحالفة بوجه من الوجوه كما وصفها مصطفي النحاس باشا "محالفة الند للند علي قدم المساواة" فأنا أتوقع أن بريطانيا سوف تطبق نصوصها وفقاً لمصالحها وحدها خصوصاً في حالة نشوب حرب أخري بل وقد تعوق في المستقبل كل المحاولات الوطنية لتعديل نصوص المعاهدة ، بما يُقرِّب المصريين أكثر وأكثر نحو استقلالهم ، كما أن المعاهدة ستجعل المندوب السامي البريطاني يمارس نفس دوره السابق وإن حمل بموجب المعاهدة لقب "السفير البريطاني" كما سيظل يتمتع بمكانة تفوق غيره من السفراء متمتعاً بلقب "عميد السلك الدبلوماسي" بحكم وضع بلاده لا بحكم القواعد والمراسيم المعروفة

وصمت الجميع مصدومين بعد انتهاء محمود من كلامه وتوقعاته المستقبلية وتحليلاته القابضة للنفس ، وقد شعرت الأم باكتئاب كل أعضاء الأسرة وليس الأب فقط فأنهت الأمسية كعادتها

وبمرور الأيام والشهور بل والسنين امتلأ المنزل بالأحفاد الذين أضافوا البهجة والسرور والفرح للمنزل فقد أصبح الأب جد والأم جدة كما خرج عبد اللطيف أفندي حسين من الخدمة للمعاش وتخرج سعد الصغير من الجامعة وأصبح خال وعم في آن واحد بل استطاع أن يجد عملاً ويتزوج وينجب هو الآخر

وكما تغير الحال في الأسرة والمنزل تغير أيضاً الحال في مصر كلها وتطورت الأمور رويداً رويداً وتحقق بالفعل كل ما تنبأ به محمود في تحليلاته

ففي ظل زيادة شعبية النحاس باشا وصغر سن الملك وضعف مجلس الوصاية وعلاقة النحاس باشا القوية بالإنجليز بعد توقيعه المعاهدة وإقراره وجود قاعدة عسكرية بريطانية في منطقة القناة كاد النحاس أن ينفرد بالسلطة بل قام باتخاذ قرارات لا يتخذها إلا كل ديكتاتور ولم يكن يقبل أي معارضة داخل مجلس الوزراء ، فأطاح بالنقراشي باشا عندما تحفظ علي مشروع كهرباء خزان أسوان عندما قام النحاس بإسناده للإنجليز دون أن تكون هناك مناقصة عامة

كما اعترض النقراشي باشا علي تنظيم فرق شبه عسكرية من شباب الوفد تسمي أصحاب القمصان الزرقاء للدفاع عن الوفد ضد خصومه فيما يشبه الميليشيات المسلحة ، كما قرر النحاس إنشاء وزارة للقصر للسيطرة عليه ، وهنا تدخل مايلز لامبسون السفير البريطاني لمنعه من ذلك فاكتفي بوكيل وزارة ، وكانت إقالة أو إبعاد النقراشي عن الوزارة نقطة تحول في سياسة الوفد

وقد دافع الإنجليز عن مكانة القصر ، ليدخروا فاروق عندما يكبر ليصبح طرف مهم في معادلة التلاعب بالوزارة وبالنحاس نفسه ، فكان الإنجليز طبقاً لمصالحهم يقفون بجانب فاروق مرة والنحاس مرة ويتلاعبون بكليهما وبالشعب المصري في جميع الأحوال

ولكن كان هناك التيار المقاوم الذي لا يثق أبداً بالإنجليز ومن والاهم وهذا التيار يخاطب الإنجليز باللغة الوحيدة التي يفهمها المحتل الغاصب وهي لغة العنف المسلح ، ولا يعترف بأي مفاوضات أو معاهدات مع الإنجليز ولم يتمكن الاحتلال أبداً من تحييده أو ترويضه ، فتيار المقاومة يعتبر أن أي إنجليزي في مصر هدف لابد من القضاء عليه كلما أُتيحت الفرصة لذلك بل وليس كل إنجليزي فقط بل وكل من يتعامل معهم من العملاء والخونة المعاونين لهم

وتيار المقاومة عادةً يكون من الشباب المتحمس من جميع التيارات السياسية ولا يعترف أو يهتم بما يفعله كبار السن الذين يمارسون السياسة الغير مجدية مع الاحتلال من وجهة نظره

وتلاحقت الأحداث ، ففي سبتمبر سنة ١٩٣٩ تم نشوب الحرب العظمي الثانية وإعلان الأحكام العرفية في مصر والرقابة علي الصحف ، مما دفع البلاد إلي مرحلة جديدة من تاريخها ، ومن الملاحظ أن وضع القوات البريطانية في مصر ظل علي ما هو عليه في أعقاب توقيع المعاهدة حيث كان انتقالها إلي منطقة القناة مرتبطاً ببناء ثكنات لها في هذه المنطقة ، ولما لم يكن بناؤها قد تم حتي نشوب الحرب "١٩٣٩" ، فقد كانت القوات البريطانية لا تزال تحتل ثكنات العباسية وقصر النيل والحلمية والقلعة وحلوان وأبو قير ، فضلاً عن معسكرات ومحطات جوية أخري في القاهرة والإسكندرية وقد حاولت دولتا المحور إيطاليا وألمانيا استغلال هذا الوضع لكسب الرأي العام المصري الذي كان معادياً للإنجليز وكان تطبيق النصوص العسكرية الواردة في نصوص معاهدة ١٩٣٦ أمراً معقداً ، وعلي الرغم من نشاط دعاية المحور فإنها لم تجد صدي واسعاً في مصر

وكان كل نص يتم تنفيذه من المعاهدة يتم بعد ضغط وإلحاح فإذا قامت الحكومة بتنفيذ المعاهدة نصاً فهي لا تنفذها روحاً فكان علي بريطانيا أن تطيح بالحكومة وتأتي بمن يفهم جيداً نصوص المعاهدة ، فمن أفضل من الذي قام بالتوقيع بنفسه علي المعاهدة وهو النحاس باشا وحزبه الوفد الذي حتماً سينفذ المعاهدة نصاً وروحاً

وطلبوا من الملك ذلك بالفعل وتم في يوم ٢٣ يونيو ١٩٤٠ استقالة الوزارة بضغط من الإنجليز

ثم قام الملك بتكليف رجل محايد ليصبح رئيساً للوزراء ولم يفهم الملك رغبة الاحتلال في تولية شخص مقرب منهم في حالة الحرب أو قد كان يفهم ولكنه يكره النحاس بشدة وأخذ الملك يبحث عن رئيس للحكومة بخلاف النحاس باشا وحزبه البغيض بالنسبة له ويناور برؤساء الحكومات ، كل هذا والإنجليز يترقبون بفارغ الصبر لتعيين النحاس

فالحرب قد اشتعلت في جبهة شمال أفريقيا وتقدم زحف الجيش الألماني بقيادة القائد الشهير روميل ، وكان المصريون الكارهون للإنجليز يتمنون دخول الألمان مصر وهو أمر عجيب فكلاهما احتلال غاصب فما الفكرة من استبدال لص بلص آخر ولكن الفكرة هي أنهم يتمنون ذلك ويعلنونه نكاية في الإنجليز

وقرر الملك تعيين حسين سري باشا رئيساً للحكومة في ١٥ نوفمبر ١٩٤٠ ولكنه لم يتمكن من السيطرة علي المظاهرات المعادية للإنجليز

وفي يوم ٢ فبراير ١٩٤٢ تمت استقالة وزارة حسين سري باشا بضغط من الإنجليز بسبب عدم قدرته علي السيطرة علي المظاهرات المعادية لبريطانيا والتي تنادي إلي الأمام يا روميل (وكان القائد الألماني الذي يزحف بجيشه نحو مصر قد وصل للعلمين بالإسكندرية)

وهنا نفذ صبر الإنجليز وقرروا وصول النحاس للحكم ولو بالقوة وجدد السفير البريطاني إبداء هذه الرغبة إلي الملك فاستدعي الملك النحاس وحدد له يوم ٣ فبراير سنة ١٩٤٢ للمقابلة الملكية وعرض عليه أن يؤلف وزارة قومية برآسته ، ، ولكنه أبي ذلك واعتذر مستنداً إلي عدم استطاعته الاشتراك في الحكم مع رجال الانقلاب علي الدستور، ولما علم السفير البريطاني علي أثر هذه المقابلة بأن النحاس رفض تأليف وزارة قومية برآسته قابل رئيس الديوان الملكي وأخبره بأنه علم برفض النحاس تأليف وزارة قومية –من جميع الأحزاب–، وطلب إليه أن يرفع إلي جلالة الملك نصيحة السفير أن يُكلف النحاس بتأليف وزارة وفدية ، فرد عليه رئيس الديوان بأن المسألة بين الملك ورؤساء الأحزاب ، وفي اليوم التالي (٤فبراير) دُعِي رؤساء الأحزاب وبعض الشخصيات البارزة – – فاجتمعوا بالقصر في نحو الساعة الرابعة مساء ورأس جلالة الملك الاجتماع وتلا أحمد محمد حسنين رئيس الديوان بياناً باسم جلالته أشاد فيه بفضل الاتحاد ونوه إلي أن جلالته بدأ منذ أمس يستدعي بعض المجتمعين ليدعوهم إلي تأليف وزارة قومية ولكن قبل أن تبدأ المشاورات طلب إلي السفير البريطاني استدعاء النحاس باشا وتكليفه بتشكيل الوزارة – – – وأن السفير طلب اليوم ٤ فبراير مقابلة رئيس الديوان وسلمه إنذاراً هذا نصه : (إذا لم أسمع قبل الساعة السادسة مساءاً أن النحاس باشا قد دُعِي لتأليف وزارة فإن جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب علي ذلك من نتائج) ، وإنه بلا شك تهديد مهين يدل علي الحجم الحقيقي للملك وللحياة الدستورية في مصر في ظل الاحتلال ، وختم البيان بدعوة المجتمعين إلي تبادل الرأي في هذا الموقف وانصرف جلالة الملك تاركاً لهم حرية التشاور في الأمر

تشاور المجتمعون فيماذا يكون الرد علي الإنذار وكانت الفكرة الغالبة أن تؤلف وزارة قومية برآسة النحاس ولكن النحاس رفض فكرة الوزارة القومية وكانت عاقبة هذا الرفض أن وقع هذا الحادث الذي يعد من الأحداث الخطيرة في تاريخ مصر الحديث ، وانتهي المجتمعون إلي الاحتجاج علي الإنذار وكُتِب الاحتجاج ووقعوا عليه جميعاً وهذا نصه :

(أن في توجيه التبليغ البريطاني اعتداء علي استقلال البلاد ويخل بأحكام المعاهدة)

وعاد جلالة الملك إلي الاجتماع وعلم بما تم عليه الاتفاق من الاحتجاج فأقره ، وحمل رئيس الديوان إلي السفير البريطاني نص الاحتجاج ، فأجاب : أن هذا ليس رداً وأنه سيحضر لمقابلة جلالة الملك في الساعة التاسعة مساء

وقبيل هذا الموعد جاءت دبابات بريطانية مسلحة بالمدافع ورابطت أمام القصر ، ثم حضر السفير البريطاني بصحبة الجنرال استون قائد القوات البريطانية في مصر وبعض الضباط مسلحين بالمسدسات ودخل السفير والجنرال استون إلي

غرفة الملك واجتمعا به بحضور رئيس الديوان وكان السفير يحمل ورقة بالتنازل عن العرش فاختلي رئيس الديوان بالملك وأسدي إليه النصيحة بقبول الإنذار فقبله ، وبعد انصراف الإنجليز وعودة السياسيون للإجتماع بطلب من الملك الذي قال للمجتمعين :

- اعتبروا ما دار بينكم من الحديث وما قررتموه اليوم كأن لم يكن ، وأُكلفك يا نحاس باشا بتشكيل الوزارة"

فاعتذر النحاس وطلب إعفاءه من هذه المهمة ، ولكن الملك أصر علي أمره بتأليف الوزارة

عندئذ قال أحمد ماهر :

- كنت أظن أن النحاس باشا وهو كما يقول عن نفسه زعيم البلاد وصاحب معاهدة الشرف والاستقلال يرفض تشكيل الوزارة ، أمّا وقد قبلها فإني أُعلن في حضرة مليك البلاد أن النحاس باشا يتولي الحكم الليلة مستنداً إلي أسنة رماح الإنجليز

فقال النحاس :

- لست أنا الذي يستند إلي أسنة الرماح

فقال اسماعيل صدقي :

- أظن أن رفعتكم وصلتم إلي هنا بعد انصراف الدبابات

فتدخل الملك في النقاش وأشار علي المتحدثين بالسكوت ، وكرر أمره للنحاس بتأليف الوزارة ، وطلب إليه أن يذهب إلي السفير البريطاني ويبلغه نبأ تكليفه بتأليف الوزارة وانتهي الإجتماع علي ذلك

وهكذا قامت مصر بتسخير كل إمكانياتها لدعم الجيش البريطاني خلال الحرب وتغيرت أوضاع القتال لصالح الإنجليز وانتهت الحرب لصالح بريطانيا وحلفاءها ، وخطب النحاس باشا خطبة في أغسطس ١٩٤٤ بمناسبة مرور ثمانية أعوام علي توقيع معاهدة ١٩٣٦ وأبرز خلالها ما قدمته مصر من تضحيات ودعم للحلفاء خلال الحرب وطالب بريطانيا بتنفيذ وعودها لمصر واستقلال البلاد ولكن لم يحدث ذلك الاستقلال بالطبع ، وكل ما حدث أن الملك قام بإقالة وزارة النحاس الوفدية في أكتوبر ١٩٤٤ والتي كان يريد إقالتها قبل ذلك ولم يتمكن بسبب رفض الإنجليز ، ولكن لم يمانع الإنجليز في إقالة النحاس هذه المرة بعد انتهاء الحرب

واستمرت دورات العبث بالدستور بواسطة الملك والإنجليز والنخبة السياسية الفاسدة ، وفي إحدي هذه الدورات عاد مصطفي النحاس باشا للوزارة ، ولنترك النحاس باشا في الوزارة يحاول عبثاً أن يُلزم الإنجليز بما تعهدوا به في المعاهدة بعد أن التزم هو بها وسخَّر إمكانيات مصر كلها لخدمة الحلفاء في الحرب حتي تحقق لهم الانتصار ، ولم يلتزموا بما تعهدوا به تجاه مصر ، ولنعود إلي أبطال قصتنا عبد اللطيف أفندي حسين وأسرته ومنزلهم العامر بالأولاد والأحفاد

لنجد الجدة وسط أحفادها في فناء المنزل وهم يلعبون حولها ، بينما يجلس حسين وشقيقه شريف مع محمود زوج أختهما في أحد الأركان يشربون الشاي ويتحدثون عن الأحوال الخاصة والعامة ، وبدأ حسين الحديث موجهاً حديثه إلي محمود وقال :

- **يبدو أن الإنجليز لن يلتزموا بما وقعوا عليه سنة ١٩٣٦ ، وأعتقد أن الشعب وخاصةً الشباب قد أيقن أن طريق المفاوضات لم يعد مجدي**

قال محمود :

- **أتفق معك تماماً فلقد بدأت جماهير المصريين تدرك بالفعل أن المفاوضة طريق مغلق لن يحقق أهدافها الوطنية ، كما ثبت لها أن الهيئة الدولية أو التحكيم الدولي لن يحقق هذه الأهداف أيضاً ، وبدا واضحاً أن العمل السلمي المشروع قد ثبت فشله ، وبدا للمصريين أن يبحثوا عن طريق آخر وهو "الكفاح المسلح" فقد باتت الجماهير علي اقتناع واسع بفكرة الكفاح المسلح باعتباره الطريق الوحيد الباقي**

قال شريف :

- **وما يؤكد هذا الكلام أنه عندما أتي الصدام المسلح في فلسطين دفع باقتناع الجماهير بالكفاح خطوة للأمام ، وكانت بداية الإيمان به بداية واضحة لتخطي إمكانيات النظام القائم كله الذي بُني علي أسلوب العمل السلمي ، لقد بدا واضحاً للمراقبين أن ما يحدث في مصر ليس إلا ثورة ، قد ترجأ ، ولكن اندلاعها واقع لا محالة**

قال حسين :

- **لقد سمعت أيضاً أن الطلبة قد اجتمعوا وأعلنوا أن التفاوض مع الاحتلال خيانة للوطن وأنهم سيقومون بعمليات اغتيال لأي سياسي يتفاوض مع الإنجليز**

قال محمود :

- **الأخطر من ذلك هو ما انتشر من منشورات من تنظيم داخل الجيش اسمه الضباط الأحرار يدعو للقضاء علي فساد الملك وعبثه بالحياة الدستورية والتخلص من النخبة السياسية الحاكمة**

قال حسين :

- **ففي رأيك ما المتوقع حدوثه في الفترة القادمة ؟**
- **أتوقع أن يقوم النحاس باشا بإلغاء المعاهدة**
- **وهل سيوافق الإنجليز ؟**
- **لا يهم فسيلغيها من جانب واحد**
- **ولكن هذا سيشعل الموقف**

- إنه مشتعل علي أي حال

وبالفعل حدث ما توقعه محمود ، وقام النحاس باشا بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية سنة ١٨٩٩ الخاصة بإدارة السودان ونادي بفاروق ملكاً علي مصر والسودان وشجع المقاومة ضد الإنجليز في منطقة القناة وغيرها وطلب من كل العاملين مفادرة معسكراتهم وقام بتعويضهم وسحب كل المزايا التي كانت للإنجليز ، كل هذا قام به بالطبع من جانب واحد ورفضه ولم يعترف به الاحتلال

ولكن دعنا نفكر ونتأمل معاً ونسأل عن سبب قيامه بكل هذا ؟ فهل مثلاً قد شعر بالخدعة الكبري التي قام بها الإنجليز عندما طلبوا منه توقيع معاهدة ١٩٣٦ واقتنع في قرارة نفسه بعدم جدوي المفاوضات وأن المقاومة هي السبيل الوحيد لتحقيق الجلاء؟ أم هل كان يخشي من الاغتيال بعد أن أعلن الطلبة صراحةً أن التفاوض مع الاحتلال جريمة خيانة تستوجب القتل ، وقد تعرض النحاس للاغتيال بالفعل عدة مرات فاشلة ولكن قد تنجح في المرة القادمة؟

أم هل كان يبحث عن شعبية جديدة بعد أن تراجعت شعبيته بسبب الإنجليز الذين فرضوه بالقوة علي الملك في حادث ٤ فبراير الشهير ليتولي الوزارة خلال الحرب فأحرجوه أمام الشعب ثم خذلوه وأحرجوه أمام الشعب أيضاً بعد انتهاء الحرب ؟

أم هل كان النحاس قد فهم الموقف الدولي جيداً بعد انتهاء الحرب فأدرك أن بريطانيا العظمي لم تعد عظمي وأنه قد أصبح هناك سادة جدد للعالم وقوي عظمي جديدة ؟ هل أدرك أن السفير الأمريكي في مصر قد أصبح الجدير بلقب المندوب السامي ؟ بل هل قام بإلغاء المعاهد بإيعاز من الأمريكيين ؟ وما دور الملك في كل هذا ؟

وأخيراً هل أدرك أن الجيش المصري قد أصبح له دور في المعادلة السياسية وأنه علي وشك تغيير النظام بأكمله ؟

وهل كان يشعر أن البلاد تقف علي حافة ثورة ضخمة لن تبقي علي أحد فأراد امتصاصها بل والسير في ركابها ؟

إنها أسئلة كثيرة جداً ظل أفراد أسرة عبد اللطيف أفندي بل وجماهير الشعب كله يبحثون عن إجابات لها